مذكرات أمير العود
حسن عطية

سجلها وأعدها
فؤاد عمر



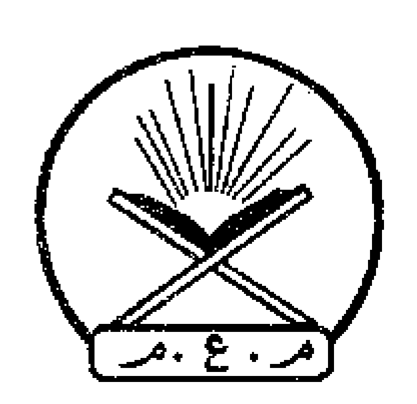
الناشر مركز عبد الكريم ميرغني
الثقافي أم درمان

مذكرات أمير العود

الفنان حسن عطيه

سجلها وأعدها للنشر

فؤاد عمر



الناشر: مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي

أم درمان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم الإعلامى الكبير أمين بسيونى

فؤاد عمر شخصية إعلامية ذات مذاق خاص ذات بصمة خاصة.. ولذلك كان طبيعياً ان تحظى بتكريم خاص نالت اعلى الاوسمة من سلطات وادى النيل شماله وجنوبه على السواء : من الرئيس محمد حسنى مبارك الذى كرمه بنوط الامتياز من الطبقة الاولى فى عام ١٩٩١. ومن الرئيس عمر البشير الذى كرمه بوسام النيلين فى عام ٢٠٠٢ ثم اضافت جامعة الخرطوم تكريماً ثالثاً بمنحه الدكتوراه الفخرية فى نفس العام.

لقد منح فؤاد عمر عمره لوادى النيل كوطن واحد يسكن عقله ووجدانه بكل شبر فيه، واعطى فأغدق العطاء كسفير فوق العادة يتحرك بين القاهرة والخرطوم.

لقد رحبت عندما طلب منى الصديق العزيز السر احمد قدور ان أكتب مقدمة لآخر ما قدم فؤاد عمر للمطبعة وهو كتاب حسن عطية أمير العود الذى يتناول فيه سيرة واحد من أكبر مطربى السودان. وهكذا يجتمع ابن من جنوب الوادى وابن من شمال الوادى فى سفر يمثل عمق علاقة أبناء الوادى شماله وجنوبه ويمثل فؤاد عمر الرمز المشترك لهذه العلاقة العضوية .

فى منتصف الخمسينيات فى مبنى ٤ شارع الشريفين هو كمذيع فى ركن السودان، وانا كمذيع فى صوت العرب ومنذ البداية تعلق قلبه بالسودان وعبر عن هذا الانتماء من خلال الحرص على بقائه فى اذاعة ركن السودان، عندما قامت بعض المشكلات بينه وبين احد رؤسائه فاستدعاه

رئيس الاذاعة المصرية فى ذلك الحين السيد/ امين حماد ليحل المشكلة وعرض عليه ان ينقله الى الاذاعة الرئيسية وهى اذاعة القاهرة فشكره ورفض العرض، وقال كلمته البسيطة العميقة.. لقد اخترت ركن السودان وسأبقى وفيا له ولاخوتنا فى السودان الذين ارتبطت بهم عبر اثيره ولم يحد عن ذلك طوال حياته.

قدم العديد من البرامج التى اصبحت بصمات ثابتة على خريطة إذاعة ركن السودان (اذاعة وادى النيل فيما بعد) واشهرها برنامج حبابك عشرة، وليالى السودان وقصة اغنية حكاوى واغانى الشريط رقم نجوم الفن السودانى مسرح الفكاهة حكايات وذكريات وغيرها كثير وكثير. واتاحت له هذه العشرة الطويلة مع رموز الحياة السودانية فى السياسة والثقافة والادب والفن ان يحتفظ بتسجيلات نادرة لهم جميعاً و اتاحت له بدورها ان يكتب من واقع عطائه الخصب عدداً من الكتب عن هذه النجوم اللامعة فى سماء السودان منها ذكرياتى مع الفن السودانى محمد عوض الكريم القرشى سيد خليفة مطرب الجماهير مع رواد الغناء السودانى. وكان اخر كتاب له فى هذا المجال هو الذى بين يديكم عن ذكريات الفنان حسن عطية.

وقد أتاح لنا القدر ان نعمل سويا فى أطار اذاعة صوت العرب التى تحولت الى شبكة اذاعية تضم الاذاعات العربية التى تنطلق من القاهرة وهى اذاعة ركن السودان واذاعة فلسطين والى جانب اذاعة صوت العرب بالطبع. ثم اتاح لنا القدر ان نشترك سويا فى انشاء اذاعة وادى النيل التى انبثقت من مسيرة التكامل بين شمال الوادى وجنوبه لتكون منبره والمعبر عن شعبه

الواحد بكل احلامه وطموحاته المشتركة. وكان فؤاد عمر اول رئيس لاذاعة وادى النيل واكبر ما اعتز به ان الميثاق الذى وضعناه سويا انا والاخ فؤاد وبقية الرواد العاملين فى اذاعة ركن السودان أنذاك كان من العمق والصدق والصلابة فى استشرافه للثوابت فى وادى النيل الى الحد الذى جعل اذاعة وادى النيل ما زالت منبراً قائماً حتى الأن رغم بعض الرياح التى اثرت على العلاقة العضوية بين الشمال والجنوب. هذه مجرد لمحات من عطاء طويل وتسجيلات نادرة لهذا العطاء تحتفظ بها مكتبة اذاعة وادى النيل واذاعة ام درمان على السواء. وتلك البصمة هى البصمة الخاصة لفؤاد عمر الذى عاش للوادى شماله وجنوبه . فكرمه الوادى بشماله وجنوبه.

أمين بسيونى

الإهداء

إلى الأشقاء الأعزاء أصدقائى

الأستاذ محمود صالح عثمان صالح

البروفسيور علي شمو

الفريق دكتور عمر أحمد قدور

الأستاذ عثمان محمد الحسن

وإلى أخوتى أسرة مركز عبد الكريم ميرغني بأمدرمان ..

أهدى هذا الجهد المتواضع

فؤاد عمر

القاهرة .. أول يناير ٢٠٠٣

كلمة المؤلف

كان لقائي معه ولأول مرة في القاهرة، وذلك بعد شهور قليلة من تسلمي العمل بإذاعة ركن السودان، وكان ذلك في النصف الأول من عام ١٩٥٥م من القرن الماضي، ولم يكن أمير العود وحده فقد كان معه العميد الفنان أحمد المصطفى بالإضافة إلى الفنان إبراهيم الكاشف والفنان عبد العزيز محمد داوود رحمة الله عليهم جميعا- وأنضم إلى هذه الكوكبة من الفنانين الشاعر الكبير عبد المنعم عبد الحي والموسيقار برعي محمد دفع الله- رحمة الله عليهما -حكم تواجدهما بالقاهرة خلال تلك الفترة..

وكانت ظروف عملي في الإذاعة كمسئول عن التسجيل الغنائي الجديد تفرض على اللقاء بصفة شبه يومية مع هؤلاء الفنانين سواء في الإذاعة أو خارج الإذاعة وكثيرا ما كنت أحضر مع كل منهم إجراء التجارب "البروفات" قبل التسجيل داخل الأستوديو.

ومنذ الأيام الأولى لتلك اللقاءات شدت إنتباهي بصفة خاصة شخصية فناننا الكبير حسن عطية والذي كانوا ينادونه بأمير العود، واستمعت لهذا اللقب لأول مرة من زملائه الفنانين والموسيقيين قبل أن أستمع له من المعجبين..ولاحظت بأن هذا اللقب قد صادف أهله بالفعل وذلك ليس فقط لإجادته العزف على آلة العود بل أيضا لأناقته واهتمامه بهندامه إلى أبعد حد، وإلى حديثه وإختيار ألفاظه بعناية ودقة.. كما شد انتباهي أيضا خفة دمه من ناحية وقفشاته اللطيفة مع أصدقائه ومحدثيه من جهة أخرى.

وهكذا وخلال فترة تواجد الفنان حسن عطية بيننا مع زملائه من كبار الفنانين والتي تعدت أكثر من شهر كنا لا نفترق إلا لسويعات قليلة كل يوم بحكم العمل.. وكثيرا ما جمعتنا سهرات فنية بحضور زملائه الفنانيين وكان دائما كعادته متألقا في أحاديثه ومشاركاته بالغناء.

وعاد أمير العود بعد ذلك إلي السودان وسافرت أنا من بعده ولأول مرة في مهمة إذاعية إلي الخرطوم وكانت بالنسبة لي أول زيارة للعاصمة المثلثة وكان ذلك بالتحديد في أبريل من عام ١٩٥٦م وبعد استقلال السودان بأربعة أشهر بالتمام.. وفور وصولي إلي مقر العمل في مكتب الإذاعة المصرية الملحق بالسفارة في حي المقرن كان الفنان حسن عطية من أوائل الفنانين الذين بادروا بالترحيب بي وبعد اتصال تليفوني حضر أمير العود بنفسه ومعه الفنان الكبير إبراهيم الكاشف وأذكر أننا كنا في شهر رمضان من ذلك العام وأصر علي دعوتي ومن معي بالمكتب علي تناول طعام الأفطار بمنزله فكان أول منزل أدخله في الخرطوم وهو منزل الفنان الكبير حسن عطيه والذى كان يجاور منزل الفنان إبراهيم الكاشف في نفس الحي "الخرطوم" وأذكر إنه بعد أن تناولنا طعام الإفطار بدأت السهرة ولم يتردد أبو عطيه ومعه الكاشف في تقديم أحلي ما عندهم من أغنيات وكان معي جهاز التسجيل وكانت سعادتي كبيرة بتسجيل تلك السهرة الفنية الممتعة والتي كانت بمثابة أول تسجيلات فنية أجريها في العاصمة المثلثة.

وتوالت بعد ذلك اللقاءات في نفس الزيارة والزيارات التالية والتي استمرت لسنوات طويلة حتي تعدت عشرات المرات بدون مبالغة. وفي كل مرة كان أبو عطية يحرص علي أن يكون أول المرحبين بي ويبدأ في ترتيب

اللقاءات الفنية معه ومع زملائه وكثيرا ما كانت تتم جلساتنا الفنية في منزله القديم بجوار كوبرى الحرية أو خارج المنزل مع العديد من الأصدقاء والزملاء.. هذا بالطبع إلى جانب لقاءاتنا العديدة على إمتداد تلك السنوات خارج السودان سواء أثناء تردده على القاهرة أثناء اللقاءات التى تمت بيننا خارج الوادى وبالذات فى منطقة الخليج حيث التقينا فى أبو ظبي أكثر من مرة.. وفى كل لقاء كنت أحرص على أن أجرى مع أمير العود تسجيل جديد نستعيد معا من خلاله أخر الأخبار الفنية بالنسبة له ولزملائه أيضا..

وعندما عدت إلى القاهرة بصفة نهائية بعد خمس سنوات إعارة فى أبو ظبي وتواصلت سفرياتي بعد ذلك بصفة دورية وسنويا إلى الخرطوم تواصلت اللقاءات بيننا بالطبع وتنوعت السهرات الفنية بحضور أبو عطيه وبترتيبه أيضا ولعل من أشهرها ما تم فى منزله فى أوائل الثمانينات حيث حضر تلك السهرة الشاعر السودانى الكبير حسين عثمان منصور ومن الغنانين عبد العزيز محمد داوود والفنان سيد خليفة بالإضافة إلى الموسيقار برعي محمد دفع الله رحمة الله عليهم جميعا- وبعد ذلك وفى نفس المكان حيث يقيم أمير العود استطاع أبو عطيه أن يجمع فى منزله أكبر عدد من الفنانين المعروفين وحرص أن أحضرها وأكون ضيف شرف قبل عودتى إلى القاهرة وكنت حريصا بالطبع على تسجيل تلك السهرة وكل ما تردد خلالها من أغنيات وأحاديث فنية..

ومضت الأيام وتوالت الأعوام وحضر أمير العود فى أخر زيارة له إلى القاهرة وكان ذلك قبل رحيله بشهور قليلة وأذكر بأنه كان يقيم خلال تلك الزيارة

حيث كان الزمان أكتوبر ١٩٦٩ م والمكان القاهرة حيث ألتقينا مع الفنان الكبير حسن عطيه " أمير العود " وكان قد حضر مع زملائه الفنانين إلى جانب بعض العازفين للمشاركة في تسجيل أغنيات جديدة لإذاعة ركن السودان خلال تلك الفترة، وكان من الطبيعي أن نقوم بزيارة الفنان الكبير في محل إقامته بالقاهرة ونسجل له حلقة في برنامج "حبابك عشرة" وأثناء التسجيل طلبنا منه أن يحكي لنا جانبا من مشواره الفني في مجال الغناء.. كيف كانت البداية وذكرياته خلال تلك الفترة.. وصولا إلى تسميته "بأمير العود" وبعد الانتهاء من التسجيل دار بيننا حوار طويل حول مشواره الفني وكفاحه ومعاناته حتى وصل إلى هذه المكانة وسط زملائه من جيل العمالقة وتطرق الحديث بعد ذلك إلى سؤال آخر وهو: لماذا يا أستاذ حسن لم تكتب ذكرياتك وتحكي مشوارك الفني حتى الآن حتى يكون تأريخا لمسيرتك الفنية ويا ريت لو فكرت في تسجيله للإذاعة ونقدمك من خلاله إلى جمهورك الكبير فأجاب الفنان الكبير أبو عطيه بالترحيب بالفكرة وعلى الفور أخذت منه موعدا للقاء قريب والبدء في تسجيل الحلقات.. وفي اليوم التالي مباشرة كان موعدنا لنبدأ معا تسجيل الحلقات والتي سنستعيدها كاملة معا مع سطور هذا الكتاب.. وقبل ذلك نتوقف معا لأسطر لكم جانبا من مشوار هذا الفنان الكبير وما استطعت أن استخلصه من التسجيلات العديدة التي أجريناها معا خلال مشواره الفني بالإضافة إلى بعض ما جاء على لسانه خلال سرده لقصة حياته..

مع زوج شقيقته بشقته في حي العجوزة وأذكر أنه حرص على أن يتصل بي تليفونيا فور وصوله وكان اللقاء بيننا في نفس اليوم ولازلت أعيش انطباعي عن هذا اللقاء فقد كان أمير العود على غير عادته حيث ظهر عليه المرض بشكل واضح وأذكر أنني سجلت معه حلقة في برنامج حبابك عشرة وبالكاد أكمل الحديث معي وحرص على أن يسجل بصوته تحية للمستمعين ووعد بتسجيل أحدث أغنياته في زيارة قادمة ولكن القدر لم يسعف الفنان الكبير فبعد أيام قليلة من عودته إلى السودان كان نبأ رحيل الفنان الكبير حسن عطيه..

وبعد رحيل فناننا الكبير أمير العود حسن عطيه وجدت من حقه علي بعد طول هذه السنوات أن أرد إليه بعض ما قدمه لي من حب وتقدير إلى جانب وقوفه إلى جانبي وحرصه الدائم على أن يزودي بكل ما هو جديد بالنسبة له وبالنسبة لزملائه باستمرار.. ومن هنا كان علي أولا أن أستعيد الذكريات من خلال عشرات التسجيلات التي جمعتنا معا سواء في السودان أو خارج السودان كما حرصت أن أستمع لصوته أكثر من مرة وهو يروي ذكرياته مع الغناء خلال مشواره والذي خص به إذاعة ركن السودان في ذلك الوقت.. هذا بالإضافة إلى استعادتي لسطور كتابه الذي أهداه لي والذي يحمل عنوان "مذكرات حسن عطيه بقلمه" وبعد أن عدت إلى هذه المصادر الفنية والموثقة أكثر من مرة سألت الله أن يعينني في أن أبدأ في كتابة ما استطيع جمعه من معلومات فنية عن هذا الفنان الكبير مع ما سجله لنا بصوته وأذيع أكثرمن مرة على موجات إذاعة ركن السودان وكان بعنوان: " أمير العود يتذكر " واستعيد الذاكرة مع هذا التسجيل النادر..

النشأة وبداية المشوار

إسمه بالكامل حسن محمد عطيه الريح، من مواليد حي المراسلات بالخرطوم إلا أن جذوره العائلية تعود إلى قرية "عد الغباشي" من أعمال مدينة رفاعة، وقد أتاح مولده ونشأته في حي المراسلات أن يترعرع وسط الأفندية والتجار والجاليات الأجنبية، وفي نفس الحي كان يسكن الشيخ سليمان عبد الرحمن وهو والد الفنان حسن سليمان الهاوى" وعبد القادر سليمان عازف العود ونديم خليل فرح وهو الذى علم حسن عطية العزف على العود.

وعندما شب حسن عطية قليلا التحق بخلوة الشيخ محمد الحنفي القريبة من الحي، وعندما بلغ سن المدرسة الحقه والده بالمدرسة الإنجيلية والتي تخرج منها بشهادة ثانية إبتدائي، وعندما بلغ الحادية عشرة من عمره تعلم العزف على العود والغناء في الجلسات الخاصة وبعض حفلات الحي، وخلال هذه المرحلة التحق حسن عطيه طالبا بمعهد التحاليل الطبية وهكذا وجد أبو عطية نفسه موظفا في الميرى وقد واصل العمل بالمستشفى بهمة ونشاط قرر بعدها أن يزيد خبراته فطلب نقله إلى بعض مناطق السودان على سبيل التطوع، وقد وافقت الإدارة على طلبه واختار العمل في سنار نظرا لوجود بعض الأصدقاء هناك وكان من بينهم الدكتور عبد الحليم محمد والدكتور محمود علي حمدى وهما من محبي الشعر والغناء وبعد سنار أنتقل أبو عطيه إلى سنجه قبل العودة إلى الخرطوم. وعندما تم افتتاح إذاعة أمدرمان ١٩٤٠ م تم الاتصال بالمغني الشاب حسن عطيه الذى ذاعت شهرته كفنان

مجدد وتم إقناع أسرته للسماح له بالغناء في الإذاعة ولكن المشكلة هي في نشوب نزاع حاد بين أهل الإعلام وأهل الطب، وتم التوصل في النهاية لاتفاق يرضي الأطراف وفحواه أن يواصل حسن عطيه عمله وفي نفس الوقت يمكنه أن يغني هاويا في الإذاعة، وهكذا غني حسن لأول مرة بالإذاعة ثلاث أغنيات دفعة واحدة وهي "أنا سهران يا ليل" "وخداري" "وهات لينا صباح" والأغنيات الثلاث من كلمات الشاعر عبد الرحمن الريح.

ويقول الفنان حسن عطيه في ذكرياته أنه بعد أن غني تلك الأغنيات وما أن خرج من باب الإذاعة ورآه الناس الذين كانوا يستمعون إليه حول ميدان البوسطه- حيث كانت الإذاعة حملوه على الأعناق وتحدثت المدينة كلها عنه وخرجت الصحف في صباح اليوم التالي وهي تشيد بالفنان الشاب صاحب اللونية الجديدة والصوت الدافئ.

واستمر أبو علي في الغناء إلى أن انقطع فجأة عن الغناء في الإذاعة وذلك لسفره في مأمورية إلى مدينة الدويم لمكافحة بعض الأمراض وهناك اندمج في حياة مجموعة من الأصدقاء ممن يعشقون الفن ويبدو أن حياة الطرب والسرور قد راقت له فقرر الاستقالة من العمل الحكومي والتفرغ للفن وهكذا دخل حسن عطيه دنيا الطرب والفن من أوسع أبوابها عبر الإذاعة والمسرح وبيوت الأفراح..

والفنان حسن عطيه يعتبر من العلامات المضيئة في تاريخ الغناء السوداني حيث كان له دور بارز وكبير لا ينكر وكان أبو علي عازفا ماهرا على العود رغم أنه لم يدرس العود دراسة أكاديمية بل ساعدته الفطرة والهواية والمثابرة والمران المتواصل على تعلم العزف على العود وكان ذلك كله

على يد عبد القادر سليمان شقيق الفنان حسن سليمان "الهاوى" وكان لعزف أبو على على العود مذاق خاص يجسد بصورة واضحة خصوصية اللحن الخماسى السودانى، فإذا أضفنا إلى ذلك عذوبة الصوت وأسلوبه فى التنغيم لبان لنا أصالة الفن وعمق الخصوصية السودانية وقد لقب أبو على بأمير العود لهذه الأسباب حتى أن الشاعر خضر حسن سعد فى يحيا الحب ذكر الأمير وعوده فى إحدى الأبيات:

يااللا المقرن نساهر   نطرب بين الأزاهر
الأمير عوده ساهر   محى الفن صيتو ظاهر

وقد اشتهر الفنان حسن عطيه بأنه فنان الصفوة والمجتمع المخملى وقد كان صالونه قبلة للأدباء والمفكرين والسياسيين ولعل من أبرزهم السيد : محمد محجوب الذى كان له الفضل الأول فى تقديم أبو على إلى رواد ندوته الخاصة وقد أهدى المحجوب لأبو على القصيدة الرائعة "فيردالونا" أو القمر الأخضر والتى يقول مطلعها:

غنى من لحنك العذب الحنونا   لحن يملأ النفس شجونا
وأذكرى البدر على خضر الربا   يانعا غضا على مر السنينا

ولا شك أن جلسات الفن الخاصة قد انعكست على أبداع أبو على مما جعله غير ميال كثيرا للغناء أمام الجماهير فى الحفلات العامة وبيوت الأفراح وقد أتاح السفر إلى الخارج فرصة كبيرة لحسن عطيه للتعرف على أنغام وإيقاعات الشعوب وألحانها.. فلأول مرة فى السودان أدخلت إيقاعات جديدة على اللحن السودانى مثل "الفالس" و "التانجو" و"المامبو" و "الرمبا" وغيرها.. ولعل المستمع لأغنيات الفنان الكبير حسن عطيه لا يخطئ فى التعرف على

نوع إيقاعاته ومع هذا فلم ينسى أبو علي إيقاعات البلد الأصيلية "التم تم" و "الدليب" وغيرها وقدم أبو علي جميع الألوان الغنائية على مدى مشواره الحافل بالعطاء، فقد غنى كثيرا للوطن وجماله من خلال : في الفؤاد ترعاه العناية بين ضلوعي الوطن العزيز ثم أبدع في أغنية الخرطوم، ولولا الخرطوم لما ظهرت بعدها أغنية "أنا أمدرمان" ولم ينسى أبو علي أن يتغنى للجنوب من كلمات مرضي محمد خير والتي يقول فيها:

حفة شوق وطروب ... كلما قيل الجنوب

جنة الخلد قطوف ... وزهور وطيوب

وغنى أبو علي أيضا لفتاة الوطن فعالج كلمات الشاعر وأداها بصوت رخيم والكلمات للشاعر حسين عثمان منصور والتي يقول في مطلعها.

هبي يا سعاد وأنت يا ثريا ... نعلن الجهاد وننشد الحرية

وهكذا قدم أبو علي في رحلته الحافلة بالعطاء من أجل الفن ما يربو على ٢٤٠ عملا ما بين أغنية وطنية وعاطفية ووصفية رحم الله أبو عطيه بقدر ما أعطى من فن سيظل خير شاهد علي أنتمائه لفنه.

وبعد هذه السياحة السريعة في مشوار فناننا الكبير أمير العود الفنان حسن عطيه ندعوكم لنستعيد معه الذكريات التي سجلها لنا وأذيعت علي موجات إذاعة ركن السودان أكثر من مرة وكان ذلك مع أوائل السبعينات من القرن الماضي.



الذكريات والمناسبة

*الزمان أكتوبر من عام ١٩٦٩ م والمكان القاهرة حيث التقينا مع الفنان السوداني الكبير حسن عطيه "أمير العود" وكان قد حضر مع بعض زملائه من الفنانين والعازفين للمشاركة في تسجيل أغنيات جديدة "لإذاعة ركن السودان" خلال تلك الفترة وكان من الطبيعي أن نقوم بزيارة الفنان الكبير في محل إقامته ونسجل له حلقة من برنامج "حبابك عشرة".

كيف جاءت الفكرة من تسجيل الذكريات!

وأثناء التسجيل طلبنا منه أن يحكي لنا جانبا من مشواره الفني في مجال الغناء.. كيف كانت البداية وذكرياته خلال تلك الفترة وصولا إلى تسميته بأمير العود. وبعد الانتهاء من التسجيل دار بيننا حوار طويل حول مشواره الفني وكفاحه ومعاناته حتى وصل إلى هذه المكانة وسط زملائه من جيل العمالقة وتطرق الحديث بعد ذلك إلى سؤال آخر وهو: لماذا يا أستاذ حسن لم تكتب ذكرياتك وتحكي مشوارك الفني حتى الآن حتى يكون تأريخا لمسيرتك الفنية ويا ريت لو فكرت في تسجيله للإذاعة ونقدمك من خلاله إلى جمهورك الكبير؟ فأجاب الفنان الكبير أبو عطيه بالترحاب وعلى الفور أخذت منه موعدا للقاء قريب والبدء في تسجيل الحلقات وفي اليوم التالي مباشرة كان موعدنا لنبدأ معا تسجيل الحلقات وها نحن نستعيد معا ما سجله بنفسه للإذاعة ولنبدأ بالحلقة الأولى وفيها يقدم نفسه للمستمعين..

يقول الفنان الكبير حسن عطيه في بداية حديثه:

أرجو مقدما وقبل كل شئ قبول عذري إذا حصل أثناء السرد ونسيت أسم من الأسماء التي سأذكرها أو نسيت مكانا معينا أو واقعة معينة لم أتطرق إليها بالتفصيل وده طبعا راجع لمسألة الزمن البعيد.. وأرجو مقدما من أصدقائي وزملائي في تلك الفترة قبول عذري عذر فنان مخضرم قد لا تسعفه الذاكرة لتدارك كل هذه الأحداث التي سنتعرض لها أثناء سرد الذكريات..

وبدأ أمير العود يقدم نفسه بعد هذه المقدمة فقال:
أسمي بالكامل حسن محمد عطيه وأسم الشهرة كما هو معروف حسن عطيه.. من مواليد الخرطوم عام ١٩٢١ م والخرطوم في الوقت ذاك كانت مقسمة إلى أربعة أقسام كبيرة كل قسم فيها يسمى مربع وأنا ولدت في حي يسمى "حي المراسلات" ومكانه الآن نادى الجمال المعروف.. نشأت في هذا الحي مع مجموعة من أولاد حلتنا أذكر منهم الفنان حسن سليمان المعروف بلقب "الهاوي" وكان معانا كمان الدكتور النور عبد المجيد رئيس القمسيون الطبي في السودان والشاعر عبد المنعم عبد الحي اللي كتب لي بعد ذلك عدد كبير من قصائدي واللي ساهم معاي في انتاجي الغزير.. وغير هذه الأسماء ناس كثيرين بعضهم مازال موجودا والبعض الآخر أنتقل إلى رحمة الله وضروري حتجي سيرتهم في حديثنا خلال الحلقات القادمة بأذن الله.
المهم كان جاري في نفس الحلة على طول عبد القادر سليمان وهو شقيق صديقي وزميلي وأخي حسن سليمان وكان عبد القادر من أصحاب المرحوم الفنان خليل فرح وكان الخليل معروف أنه أول من عزف العود في السودان وعلمه بعد كده لصديقه عبد القادر سليمان.. وكانت الشلة كلها تجتمع في منزل عبد القادر سليمان.. الخليل وأصحابه ومعاهم العود طبعا.. وتبدأ الونسة من بعد العشاء وتمتد السهرة حتى ساعة متأخرة وعادة كانت تطول في ليالي الجمعة، وده عشان معظمهم كانوا موظفين وعندهم مصالح في الصباح.. أما أنا وحسن سليمان لأننا لسه صغار فكنا نسمع أو نسترق السمع بالنسبة للأغاني ونطرب لسماع العود كثيرا وأنا بالذات كنت بردد معاهم وأنا بره في الحوش مقاطع الأغنيات اللي كان بيؤديها الخليل وكنت أطرب ليها خالص.. وكان المرحوم خليل فرح ومن معه يرسلوني أنا وحسن لشراء بعض الحاجيات من الدكان سجاير، حلويات أو أي حاجة ثانية وكنا نرجع نلاقيهم بيغنوا ونستمر في السماع المهم اللي كان بيغني دايما هو الخليل وعبد

القادر بيعزف على العود وبقية الشلة كانت بتشيل معاه ومن الأصدقاء أذكر المرحوم حسن سكر وعبد المنعم محمود والمرحوم
عجول وكان موجود كمال مختار وفوزى دول ورمزى كيلانى وكانوا كلهم موظفين ذى ما ذكرت المهم كان الخليل متأثر فى الحانه فى الوقت داك بالفنان الكبير سيد درويش فى مصر، والخليل شاف سيد درويش بالطبع لأنه سافر مصر أكثر من مرة قبل كده، وكان دايما الخليل فى جلساته الفنية مع أصحابه يتكلم عن سيد درويش وفن سيد درويش وحب سيد درويش لفنه وأزاى كانت أغانيه ترجمة صادقة لمشاعر الناس وعامة الشعب فى مصر من واقع لسان الشيالين والسقايين والمكوجية.. ألخ
وكان الخليل يحفظ الألحان دى كلها ويرددها وعشان كده تأثر إلى حد كبير بهذا الفن وبهذا اللون بالذات وأعتبر نفسه مسئولاً عن الحكاية دى فى السودان فكانت أغانيه هو الآخر لها طابع شعبى وفى واقعها وطنية يعنى مغلفة بكلمات فى واقعها شتيمة فى الإستعمار يعنى ألحان كلها كانت هادفة من بينها أغنية مطلعها..

قوم .. قوم .. كفاك يا نايم

وهكذا استمرت الجلسات الفنية دى وأنا كل يوم أحاول أنتهز فرصة غياب الشلة بالذات فى النهار وأسرق العود اللى كان موجود دايما فى رأس الدولاب بتاع بعد القادر سليمان وبذكر كنت.. بجيب الكرسى لأنى كنت قصير وأطلع عليه عشان أحصل العود وابتدى العب فى أوتاره وأعزف فى أى حاجة ويرجع بعد كده بعد القادر سليمان فيلاقى العود ملخبط بالطبع فكان يندهش إلى أن أكتشف فى يوم الحكاية وشاف على وشى اللخمة شوية فقال لى إيه الحكاية يا حسن هوه فيه حد بيلعب فى العود ده؟ فقلت ليه إيوه.. أنا كنت بعزف عليه فضحك بالطبع وقال : بلاش أحسن تكسره..

وفاتت الأيام بعد كده لغاية ما جاء يوم جمعه وكان فيه جلسة نهارية يعنى الكل كان موجود وبيتونسوا في الصباح وأنا وحسن سليمان كنا بنخدم الشلة كلها.. وأذكر في اليوم ده بالذات كنت بسلي نفسي وأدندن بلحن من ألحان الخليل ويظهر أنه صوتى كان عالى شوية لأنه الخليل سمعنى وقال لأصحابه: الله صوت الواده كويس هاتوه هنا عشان نسمعه.. وبعد شوية خرج عبد القادر سليمان من جوه ونادانى فأنا في الحقيقة كنت خايف خالص لأني شعرت بامتحان صعب أمام عملاق الفن في ذلك الوقت وأذكر أني وقفت أمامه وأعصابي متوترة فطبطب على بإيده وقال لى قول يا أبو على.. وهنا تدخل عبد القادر سليمان وقال : لا وإيه كمان يا الخليل ده أتضح أنه بيسرق العود من ورانا ويعزف عليه.. فضحك الخليل ومعه الجميع بالطبع..

ونرجع ثانى لجلساتنا وكانت بتتكرر كل يوم أنا وحسن سليمان نعقد في الحوش قريبين جدا من المكان اللى موجودين فيه كلهم ونسمع ونحاول نحفظ وهكذا مرت الأيام وفى كل يوم أضيف ألحانا وألحان لدرجة أني وجدت لدى حصيلة مش بطالة من الأغاني اللى ما زلت أذكرها للمرحوم الخليل فى ذلك الوقت واللى كنت بسمعها تقريبا في كل ليلة مثل الأغنية اللى بتقول "يفضح البدرى"

وفى ليلة من هذه الليالي وأنا راجع البيت وجدت الشلة كلها مجتمعة فقلت لنفسى ليه أنا ما أغنى أمام الخليل.. وليه أنا كنت خايف المرة اللى فاتت لما سألني أن أغني.. وهنا طلبت أنا بنفسى أن أقدم واحدة من أشهر أغنيات الخليل وهى التى كانت يؤديها في كل ليلة زى ما قلت قبل كده فكانت أغنية "يفضح البدرى".

ترديدى للأناشيد المدرسية

صقل حبال صوتى وهيأنى للغناء

أما حكايتي مع بداية دخول الخلوة فقد كانت هذه الخلوة في الخرطوم وكان صاحبها هو الشيخ محمد بابكر وهو مقرئ إلى الآن بإذاعة أمدرمان وممكن نقول بأن الخلوة ما هي إلا نظام الكتاب المعروف في الجمهورية العريقة المتحدة "جمهورية مصر العربية" بعدها ينتقل الطالب إلى خلوة أكبر شوية من ناحية الفصول والدراسة فأنا انتقلت إلى خلوتين كبيرتين واحدة بتاعة الشيخ الكنزي وده كان نوبيا من شمال السودان وقضيت فيها فترة من الزمن وبعدها نقلت إلى مدرسة النجاح وهي عبارة عن خلوة شبيهة با لكتاب أيضا تؤهل الطالب حتى يدخل كتاب الحكومة الرسمي..

في عام ١٩٢٨م تقدمت أنا وأخي حسن سليمان إلى كتاب الخرطوم الوسطي الحكومي وفي امتحان القبول قبل الأخ حسن سليمان وأنا لم أقبل لصغر سني وعدم تأهلي لدخول الامتحان فقضيت السنة بمدرسة النجاح وتقدمت السنة التالية ١٩٢٩م للكتاب الحكومي ودخلت بالفعل.. ومن هنا أحب أقول أني لما دخلت الكتاب كنت خائفا ومتهيبا المدرسة زي أي طفل صغير وجديد وكان زملائي في الكتاب همه نفسهم اللي ذكرتهم وأولهم عبد المنعم عبد الحي وحسن سليمان ومحي الدين تلب ومحمد يوسف علي وأحمد أمام وبقية الأخوة المصريين اللي ما أذكر أسماءهم الآن لأنهم طلعوا من السودان بدري..

كنت أمارس أيضا هوايتي الفنية عن طريق حفظ الأناشيد المقررة علينا ومحاولاتي البدائية في ذلك الحين بخصوص تلحينها وطبعا كانت ألحانا بدائية على قدر حالي في ذلك الوقت ومن الأناشيد المحفوظة في تلك الفترة "طاب سعي بالأمل لست أدري بالكسل" وبدأت ألحنها وأغنيها في مناسبات المدرسة زي يوم الأباء وأحتفالات رأس السنة والتخرج..

وكثيرا ما كنا نشترك في رحلات المدرسة ويطلب مني المدرسون أن أتقدم المجموعة وأبدأ في إلقاء الأناشيد المنغمة وهمه يستمعوا لي وكلهم كانوا يرددون من ورائي.. وأعتقد كل هذا التجاوب أفادني في الأداء بعد ذلك وأكتسب صوتي منذ الصغر تحملا غير عادي أفادني في تلحين وأداء الأغنيات الطويلة بعد ذلك.. ومن نشاط المدرسة وممارستي إلقاء الأناشيد وسط زملائي اتسعت شهرتي إلى الحي كله بل امتدت هذه الشهرة إلى أحياء أخرى قريبة منا وأحسست رغم صغر سني بأن فيه ناس بتناديني وأنا ماشي المدرسة ويقولوا لي عايزين نسمعك يا أبو علي وأنا أضحك وفي نفس الوقت أمني نفسي بأمنيات كنت بحلم بيها.. بعد كده بدأت أفكر وأقول : ليه ما يكونش ليه عود براي.. حفضل أسرق العود من عبد القادر لمتين!

وتصادف في تلك الأيام أن وصل الخرطوم من لندن الأخ عبد الوهاب حمدي شقيق المرحوم محمود علي حمدي بعد فترة دراسية في هندسة الميكانيكا بلندن وإلى جانب دراسة الهندسة كان بيدرس كمان وأحضر معه فعلا كمنجة لطيفة خالص من نوع راق وكان في الوقت ده زي ما قلت قبل كده أخوه عبد الكريم وصديقي في نفس الوقت كان بيعزف على الكمان

فطلب الدكتور محمود حمدى من عبد الوهاب حمدى أن يعطى الكمان لعبد الكريم حتى يسمعنا نغم سودانى فرفض بحجة أن الكمان جديدة وخايف علها من التلف فأصر الدكتور محمود حمدى أن يرسل إلى لندن لإحضار كمنجة لعبد الكريم حتى يؤدى الألحان المطلوبة ويتدرب عليها وكما يريد وفى نفس الوقت طلب من أصدقائه فى القاهرة أحضار عود لى أنا أيضا حتى أصاحب عبد الكريم فى الغرف وأحياء مثل هذه الجلسات الفنية.. وبالفعل بدأ عبد الكريم حمدى يختار بنفسه ألة الكمان اللى تعجبة من الكتالوج والكتالوج ده كان زمان فى أيام الأستعمار ويحتوى على نوعيات كثيرة من الأغراض من ملبوسات وأقمشة وأحذية وقمصان وشرابات إلى جانب الآلات الموسيقية بنوعياتها المختلفة والجميل أن كل هذه المعروضات كانت بألوانها الطبيعية وتحتها السعر والمقاس وما على المشترى إلا أن يحدد الشئ المطلوب ومواصفاته ويرسل على عنوان المحل وينتظر أياما قليلة ويصله المطلوب.. المهم الشئ الطريف اللى أحب أقوله أن الكمان فى ذلك الوقت كان ثمنه ١٠٥ قرش أسترلينى ودى طلبها الدكتور محمود عبد الكريم وكانت من أعظم الانواع أما العود بتاعى أنا فأحضر من مصر من جميل جورج بشارع محمد على والموجود حاليا فى نفس المكان وبالطبع لا أذكر ثمنه لأنه جانى هدية..

تصادف فى نفس الوقت أن أعلن الدكتور محمود حمدى خطوبته على إحدى قريباته وحدد يوم الخطوبة ووزعت الدعوات وأخذنا أنا وعبد الكريم حمدى لإحياء هذه الحفلة ضمن بعض الفنانين الهواة من أصدقائه.. وبالفعل حضرنا فى يوم الحفل وكان يحضره مجموعة كبيرة من

علية القوم في ذلك الوقت رجال ونساء كان الرجال في حوش لوحدهم والنساء في حوش آخر لوحدهم وغير بعيد عن حوش الرجال بحيث يستطعن منه متابعة الحفل ونسبة لأن الأنجليز كانوا في البلد وعندهم بروتكول معين في الحفلات كان السودانيين يتبعون نفس البروتوكول اللي هو كان الحضور بالنسبة للرجال بالبدلة السوداء الأسموكن والنساء بالتيبان البيضة أما أنا وعبد الكريم حمدي فكنا نرتدي الجلابية الحرير البيضاء والعمة طبعا..

وهكذا انتظم الحفل وبدأ الفنانون المصريون من أصدقاء الدكتور حمدي اللي كانوا موجودين في الخرطوم في تقديم وصلاتهم وأذكر منهم عبد الله حسني السوداني وهو مصري سوداني ولكنه كان بيغني أغاني مصرية وهو الأخ الأكبر للأستاذ عز الدين علي عامر وبعد ما قدموا حفلاتهم قدمونا نحن في آخر الحفلة وبدأنا نغني بدون مزاج من شدة النعاس ولكن بعد ما بدأنا في الغناء وقابلونا بالتصفيق الحاد بدأنا نصحصح وننسجم مع الألحان وقدمنا أول وأحسن فاصل غنائي في حياتنا أمام الجمهور ونجحت الحفلة بأغانينا أنا وعبد الكريم نجاحا منقطع النظير.. ومن الأغاني التي قدمناها في الحفل أغاني الخليل الوصفية إلى جانب بعض الأغاني الوطنية وكانت من بينها الأغنية اللي بتقول:

قوم قوم كفاك يا نايم   شوف شوف هواك يا نايم

مجدك ضل وشرفك ولى   نحن الكل شباب النيل

مافيش تاني مصري سوداني   نحن الكل ولاد النيل

وأنت شنو !! طفيلي دخيل

على يدى بدأ أحمد المصطفى
تعلم العزف على آلة العود

* أن بعض الذين حضروا الحفل كانوا فى أجازات ووصلوا من عدة مناطق من مديريات السودان المختلفة واستمعوا إلينا كلهم فى الحفلة وبعدها رجعوا إلى مناطقهم بعد كذا يوم من حفلة العريس وهم فى أحلى حالاتهم من الليلة العظيمة اللى حضروها فى فرح الدكتور محمود حمدى فكان من الطبيعي أن يعملوا لينا دعاية كبيرة جدا فى الخرطوم حيث ظهر هناك أثنين من الأطفال يعتبروا معجزة في فن الغناء : حسن وعبد الكريم واحد منهم بيضرب عود وبيغني والآخر علي الكمان وعملوا سهرة للدكتور محمود حمدى وكانت عظيمة وناجحة جدا وكلام من النوع ده اللى بيه عملوا لينا دعاية خارج العاصمة.

وبالطريقة دى اتسعت شهرتنا فى مديريات السودان عامة وبدأ الناس بعد كده يعرفونا بشكل أوسع شوية يعني فات نطاق الحلة وحضرنا في حفلات الختان بعد ذلك اللى هى حفلات الطهور.. والطهور عندنا فى الخرطوم في الوقت داك كان الواحد بيطهر أبنه أو بنته يعمل ليه حفلات غنائية تصل إلى خمسة أو ست حفلات تشترك فيها نساء الحي ذوات الأصوات الجميلة واللائي يجدن الرقيص ومعاهم المطربين من الهواة فنحن غزينا السوق ده بالطريقة الفنية الحديثة واتسعت شهرتنا بعد ذلك وأصبحت أسهر كل ليلة في بيت من البيوت في الحلة وخارجها.. والسبب الذى دعا والدى إلى التبرم والزعل من سهرى وتأخرى لا من ناحية حبي للفن، فالحقيقة الوالد من حقه علي هنا أن أسجل له احترامه لى ولفنى ولرغبتى فى الاستزاده بل

هو كان مبسوط جدا لما يسمع لي وكان يسمعني دايما ويشجعني في نفس الوقت.. ولكن كان لا يحب أن يشغلني العود عن مواصلة دراستي

وبعد كده سمعنا أنه ظهر فنان في مدني يدعى إبراهيم الكاشف ومعه شاعر يدعى بابكر السلاوى وشاعر آخر يدعى علي المساح فكنت أتمنى أن أرى هذا الفنان و ربنا حقق الأمنية فعلا فبعد فترة وصل الفنان إبراهيم الكاشف إلي الخرطوم وكانت عنده نفس الرغبة أنه يقابلني أنا أيضا في الخرطوم وأتصل بي فعلا وبالأخ عبد الكريم حمدى وبالأخ حسن سليمان وفكرنا في أن نعمل وحدة متكاملة لنظهر بيها الفن السوداني الحديث لكن وقفت أمام أبراهيم الكاشف عقبة وهي أنه كان يحب أن يعزف العود وبدأنا فعلا في محاولة تدريبه على آلة العود ولكنه فشل في دراسة هذه الآلة الغريبة عليه – وأثناء وجوده في أمدرمان وجد شخصين من أبناء الحي الذي كان يسكنه الكاشف في أمدرمان أحدهما هو عوض فضل الله والآخر محمد حجازى وكان عوض وحجازى يعزفان على الكمان فأتفق معهما على أن يتدربا معا على أغانيه وفعلا تم تدريبهما.. وبدأ الكاشف يظهر معهما في الحفلات التي اشترك فيها فيما بعد.. وبعد ذلك اتفقنا كلنا أنا وإبراهيم وعبد الكريم وعوض وحجازى عشان نعمل أوركسترا موحد وفعلا استمرينا مع بعض فترة طويلة من الزمن سنتعرض ليها فيما بعد بالتفصيل أثناء الكلام عن نشاطنا في الإذاعة وفي نفس الوقت وصل الخرطوم أيضا الفنان الزميل أحمد المصطفى قادما من الدبيبة من ضواحي الخرطوم.. وكان قد التحق للعمل بشركة عبد المنعم بالخرطوم.. واتصل بي أحمد فور وصوله للتعرف عليه وشعرت بأن له رغبة في أن يتعلم العود وكان أحمد المصطفى في ذلك

الوقت لا يعزف إلا على الصفارة وهي المعروفة ب "الزنبارة" عند أبناء البادية وكان قد تعلمها مع أطفال القرية وهي من عيدان القصب.. المهم أحمد سمع بحكاية العود وطلب مني أعلمه وبالفعل بدأ يتدرب، ولما كانت عنده الرغبة الأكيدة ومع المران المستمر استطاع أحمد المصطفى أن يجيد العزف على العود في فترة بسيطة وبعدها أنضم معنا لتشكيل فرقة لها وزنها من الشباب المتطلع لتطوير الألحان باستخدام الآلات الحديثة التي كان ينظر إليها الجمهور بإعجاب ودهشة في ذلك الوقت..

في نفس الوقت كان فيه مطربي الحقيبة اللي كانوا بيغنوا بالصفقة وبيرقصوا البنات في ليالي الأفراح بشكل دائم.. وكان على رأس هؤلاء المرحوم الحاج محمد أحمد سرور والأمين برهان وعبد الكريم كرومه وغيرهم، وهنا أقف شوية لأصف منظر هذه الفرقة الشعبية وكيف كانت تحي حفلاتها الراقصة : فقد كانت عادة بيوت الأعراس في السودان بتكون مفروشة بالعناقريب للرجال والجزء الثاني مفروش بالبروش للسيدات، يعني السيدات كانوا بيجلسوا على الأرض وده يكون فيه احترام للرجال وبتكون الأضاءة عن طريق الكلوبات أو الرتاين ذي ما بنسميها في السودان وهذا نسبة لعدم وجود الكهرباء في كل أنحاء المدينة وبيقف واحد في نصف الحلقة عشان يقوم البنات للرقيص وده بسموه وزير العريس وكان يحضر المطرب عادة مثلا ذي الحاج محمد أحمد سرور ويحمل عصاية كريز وهي خيزران أصلي يحملها في إيده الشمال ويغني بيها ويصفق وهي في يده خوفا من أن يفاجأ بواحد من غير المشجعين ويستعين بها عند اللزوم وخاصة إذا فكر أحدهم أن يخلي الفرح ضلمه ذي ما بيقولوا .. وما ننسى أن الحاج سرور كان يستعمل رأسه في ضرب الروسية زيادة في استعمال العصاية وأحيانا يحدث

أن أحد المشاغبين ضد الفنان يضرب الكلوب بالعصاية ويكسرها ويخلى البيت ضلمه عشان يضرب بعد كده بدون ما حد يعرفه وفعلا تحصل المشكلة وينتهى الفرح بتجريح الناس.. ولكن في أغلب الأحيان وبالذات لما يكونوا المشاغبين ليهم رغبة فى مشاهدة راقصة معينة يتغاضى النظر عن الشكل والضرب وخلافه رغم العداء المستحكم بينهم وبين المطرب وفى الحالة دى يستمر الحفل والسمر إلى الصباح..

ونقف هنا لنصف الفرح وطول مدته فى الأيام ديك يستمر الفرح أربعين يوما والمغنى ومعاه الشيالين يستمروا طوال هذه المدة يغسلوا ملابسهم ويكووها ليهم ويأكلوا ويشربوا كله في بيت العريس يعنى إعاشة كاملة طول هذه المدة أربعين يوما.. والعريس كان بيلبس قميص أو عراقى وسروال طويل تكته مشغولة باليد وحريره فى أيده اليمين معاها خرز ة ويسموها التعويذة.. والخرزة دى كان دايما يضعها فى يمينه وليها غنوة دلوقت مازالت مشهورة بيقولوا فيها "حريرة وخرزة فى يمينه" ثم توضع على رأس العريس الضريرة وهى نوع من العطور الهندية وأعشاب معينة خليط متعارف عليه وله رائحة نفاذة ويربط رأسه بعد كده بمنديل حرير وعلى المنديل هلال من الذهب الخالص إشارة لمكانته وعظمته وثرائه..

وفى ليلة الحنة يضروها.. ويوضع عليها شمع بعدد عمر العروسة والعريس ووسط الحـ نة صحن كبير مليان لبن عشان يرشوا بيه العريس والعروس كل منهما الآخر "بخ اللبن" وهو موضوع تفاؤل بالخير، وبعدها يفضى الصحن من اللبن وينقطوا الحضور من النساء والرجال النقطة أو الختة، وفى الحالة دى تغنى أحداهن أغنية العديل والزين وتستمر فى هذا الأغنية وتستمر الأخرى فى تحنين العريس والعروسة..

تشجيعا للأهداف الوطنية شاركت أحمد المصطفى في حفلات استقطاب الجماهير لندوات شيخ الأندية بأمدرمان قبل الاستقلال

بعد كده وعلى حسب ما أذكر ظهر مؤتمر الخريجين في عام ١٩٣٤م تقريبا وفي هذا المؤتمر تبلورت فكرته في أبو الأندية وهو نادى الخرجين ومقره مدينة أمدرمان وكان يضم مثقفي العاصمة المثلثة وهو اللى خرج كل أدباء وسياسي ذلك العصر تقريبا وكانت باكورة إنتاج هذا النادى إسماعيل الأزهرى ومبارك زروق ويحيى الفضان وأمين التوم وغيرهم كما أذكر من بينهم أيضا حماد توفيق وإبراهيم المحلاوى والطيب محمد خير الزعيم والمرحوم يوسف التني وبدء الجميع نشاطهم ضد المستعمر .. وكان كثيرا ما يجتمعون لإلقاء خطبهم السياسية وحتى تكون ناجحة ويحضرها أكبر عدد من الجماهير كانوا يستعينون بفقرات غنائية لجذب الجمهور وعشان كده كانوا يطلبونني أنا وأحمد المصطفى للاشتراك في الحفلات ومن جانبنا إحنا كمواطنين كنا نقوم بالاشتراك في هذه الحفلات بالمجان تشجيعا للغرض المقامة من أجله وهو العمل على طرد المستعمر وإظهار أغراضه السيئة وتنبيه الناس إلي ضرورة السعى لحل مشاكلهم بأنفسهم وعدم الاستماع لدعاية الاستعمار وكان من ضمن أخواننا السياسيين والأدباء كما ذكرت يوسف التني وأمين التوم وهما شاعران مشهوران وكان يبدأ الحفل عادة بالدوبيت أو بالشعر القومي المعروف وهو في نفس الوقت ذو طابع سياسي مقصود به محاربة الاستعمار.

وكان من ضمن القصائد أغنية "في الفؤاد ترعاه العناية" للمرحوم يوسف التني وهذه الأغنية سأتعرض لها بعد كده لأقف لحظة وأقول : كنت أنا والزميل أحمد المصطفى نرتدى الزى البريطانى للمستعمرات الأفريقية وهو عبارة عن الشورت الكاكى ومعاه القميص نفس اللون بالإضافة إلى البيرية على الرأس والسياسيين وقتها كانوا يلبسون نفس الزى.. فتصور منظرى وأنا أقف على المسرح أرتدى قميص وبنطلون قصير وشراب طويل ونبدأ حفلاتنا بالآلات وفى هذه الحالة كنا نجذب أنتباه المارة إلى أن هناك ليلة سياسية فى نادى الخريجين وفعلا بعد أن تنتهى وصلتنا الغنائية الخماسية تكون الدار قد ازدحمت بالمشاهدين والمهتمين.. وبعد كده يبدأ المتحدثون فى إلقاء خطبهم فى نفس الوقت بيكون فيه عدد كبير من المخبرين لمراقبة سير الحفل وما يقال فيها من خطب وشعر وغناء وعادة بل كثيرا ما تحدث اعتقالات تنتهى بمشاجرات كبيرة فيذهب بعضهم إلى المعتقل والبعض الآخر بعد التزويغة إلى منازلهم ولكن الحمد لله لم يحدث لنا أى شئ نسبة لحب الجماهير لنا كفنانين محبوبين فى ذلك الوقت لا لون لنا فى السياسة حسب اعتقادهم وإلى هناك أقف لحظة لأتكلم عن الخليل موظفا فى مصلحة البوسطة كمهندس للتليفونات فى بداية عمل التليفونات بالخرطوم وده يورى مدى حساسية الخليل فى عمله لأن عملية التليفونات عمليه خدمة عامة مركز عليها بدل من أى وظيفة كتابية أخرى.. وكان الخليل يرتدى بدلة وطربوش وكان يصطفى قلة من الأصدقاء اللى همه كما ذكرت فى الأول عبد القادر سليمان وعبد المنعم محمود وفوزى حسونه ورمزى كيلانى وحسين سكر.. كان يصطفيهم لذوقهم الفنى

ولتركيزهم في الإستماع لأن الخليل كان يعيش لشعره ولحنه وفنه ومن ضمن صفاته أيضا واللى كان بيتميز بها فعلا إنه كان لا يبدأ الغناء في هذه الحلقة الضيقة إلا بعد منتصف الليل وأخره أى بعد أن يهيئ المستمعين القلة الموجودين إلى الأستماع مضبوط وبعد أن يبدأ فى الغناء حذار أن تحدث أي شوشرة أو ضوضاء لأنه إذا حدث أى نوع من هذه الأشياء سيتوقف الخليل عن الغناء ويتنرفز وممكن تؤدى هذه الحالة إلى تخليه عن هذه الجلسة ومن ضمن خواص الخليل أيضا إنه كان لما يبتدي الغناء يغمض عينيه وفي تغميض عينيه سر كامن وهو إنه يعيش بكيانه وبجميع حواسه في سرد القصيدة التي يتغنى بها وفي هذا سر أيضا أنه يحس بوطنيته وبعمله الفنى إزاء وطنه عشان كده كان لا يريد أى تشويه أو شوشرة في هذه اللحظة الحاسمة.

ونعود بعد ذلك إلي ألحان تلك الفترة وهي كانت معظمها للخليل بالنسبة للأغاني الوطنية والعربية الفصحى.. أما بالنسبة لأغاني الحقيبة أو الأغاني باللهجة الدارجة فكان من ألحان المرحوم كرومة وتقريبا كان رغم العداء المستحكم بين المرحومين سرور وكرومه في المناسبات الغنائية.. كان سرور بيغني ألحان كرومه وده راجع لأن كرومه كان متخصص في ابتكار الألحان الجميلة اللى أعجب بها كل من سمعها وكان كرومة عنده طاقة كبيرة جدا في الأداء بحيث لا يشعرك أبدا من بداية غنائه إلي نهايته بأن صوته تغير لحظة واحدة، وعادة ما كانت السهرة تمتد من الساعة السابعة حتى الرابعة صباحا.. بل بالعكس فكان كلما دخل الليل كلما زاد صوته حلاوة أكثر وأكثر وبالمناسبة كان كرومه يتفانى فى فنه لدرجة أنه كان يسهر طوال الليل ولا ينام فى النهار لأنه بالنهار كان بيلحن.. وللسبب ده أصيب فى حلقة بمرض

خطير ولم ينتبهوا إلى حالته رغم أنه كان يعاني من آلام شديدة لم تعرف أسبابها في ذلك الوقت وكان من نتيجة ذلك أن توقف عن الغناء لفترة طويلة وهزل جسمه وبدأ يبحث عن العلاج منفردا مع مساعدات أصدقائه المعروفين، ولكن هذا لم يجد وتوفي كرومه في ريعان شبابه وبعد فوات الأوان عرفنا بعد ذلك أنه كان عنده سرطان رحمة الله عليه- وترك كرومه وراءه ألحانا عديدة سجلها بصوته على أسطوانات وخلف من ورائه أيضا مرددين حفظوا ألحانه الجميلة وسجلوها له اعترافا بالجميل وتخليدا لذكراه..

ونعود مرة أخرى إلى القصائد الوطنية التي كنا نرددها في مؤتمر الخريجين ومعظم هذه القصائد كانت من تأليف مثقفين كان في مقدمتهم المرحوم يوسف التني أول سفير للسودان في مصر وأشهر قصائده في هذه الفترة قصيدة وطنية أشرت إليها وهي " في الفؤاد ترعاه العناية" والتي تقول كلماتها من المطلع:

في الفؤاد ترعاه العناية　　　بين ضلوعي الوطن العزيز

لعداه مبسوى النكاية　　　وإن هزلت بلملم قوايا

غير سلامتك ما عندي غاية　　　إنشاء الله تسلم وطني العزيز

مرة عينين ضبلان وهازل　　　شقوا بطن الأسد المنازل

نبقي حزمة كفانا المهازل　　　ونبقي درقة وطني عزيز

ليه ما أرعى الوطن الرعاني　　　والدهاه أشيلو وأعاني

الشباب والشيب شجعاني　　　قالوا نفدى الوطن العزيز

إلى أن يقول في نهاية القصيدة :

طبيعي أعشق صيده ورماله　　　ما ببيعه وأقول مالي مالو

ما بكون آلة البي حبالو　　　دار يكتف وطني العزيز

خدارى أول أغنية قدمتها فى الإذاعة

بـدأت إذاعـة أمدرمـان يـوم ١٩٤٠/٤/١م وكـانت عـبارة عـن غـرفة واحـدة وضيقة ٣متر×٣متر فقط.. وكانت ترسل إذاعتها على مكبر صوت ينبعث من داخل الغرفة إلى ميدان البوسطة الفسيح والذى كان يتجمهر فيه الجماهير للإستماع إلى أخبار الحرب فى فترة من الزمان.. وكانت أخبار الحرب من داخل هذه الغرفة "الإذاعة" تتصنع على حسب ما هم عاوزين زى مثلا ضمن الأخبار.. أغارات طائراتنا على العدو مساء أمس وأسقطت له ٤٠ طائرة وستين دبابة وقتلت ١٠٠ جندى وعادت طائرتنا بسلام.. ولما شعر المسئولون بأن جماهيرالبوسطة تتزايد كل يوم فكروا فى أن يجعلوها إذاعة أشمل وأن يكـون إرسالها داخل السـودان.. وفعلا وبسرعة ركبت الآلات اللى كـانت بدائية فى ذلك الوقت ولكن لحسن حظهم الإذاعة كانت مسموعة خارج السودان، وفى ذلك الوقت كانوا يرسلون برامجهم على النحو التالى : ٥ دقائق قرآن، ١٠ دقائق أخبار، وبعد فترة وجيزة وصل الحاج محمد أحمد سرور إلى العاصمة وكان يجوب بعض مدن السودان لأنه كان بيشتغل بعمل اللوارى وفن الغناء فى نفس الوقت فاتفقت معه هيئة الإذاعة المكونة من مدير مصلحة المخابرات البريطانية ومعه نائبه وهو المستر أدوارد عطيه "سورى" وكان معهما أيضا المرحوم الشيخ عبيد عبد النور والمرحوم العم صالح عبد القادر والأخ حسين طه زكى ودول كانوا من كبار الأدباء والملمين بفنون السياسة فى ذلك الوقت..

ا تفق الجميع على أن يقدم الحاج سرور أغنية لمدة ٥ دقائق كل يوم بعد الأخبار وكان هذا اليوم هو الخميس من كل أسبوع على أن تكون الأغنية سياسية تشيد بجنود الحلفاء طبعا وتعمل الدعاية الكافية داخل البلاد فقبل المرحوم سرور فعلا وبدأ يقدم أغنية كل يوم خميس لمدة خمس دقائق واستمر على ذلك فترة كبيرة وكما قلت كانت الإذاعة يوما واحدا فى الأسبوع ولمدة ١٥ ق وكانت توزع كالآتى ١٠ دقائق أخبار و٥ دقائق أغنية سياسية أو حربية وظلت هكذا لمدة أربعة أشهر وفكرت الإذاعة بعد ذلك فى مد بث برامجها إلى يومين فى الأسبوع واليوم الثانى كان يوم الثلاثاء ولكنهم كان يفتقروا إلى مطرب ثان ليقوم بالغناء فقال لهم الأخ حسين طه أنا سمعت بشاب صغير بيضرب عود وبيغنى وممكن يقدم لنا هذا العمل ولكنه يحتاج لتعب شديد لأرضاء أهله فقالت له الهيئة روح وحاول بكل ما تملك ولازم الولد ده يجى والمسألة دى ذى ما أنت عارف مسألة وطنية ولازم أهله يقبلوا وفعلا حاول أن يقنعنى بأن أذهب إلى محطة الإذاعة وبعد فترة من المحاولة فكر الأخ حسين فى أن يدخلنى الإذاعة بمقلب فدعانى إلى حفلة نهارية فى أمدرمان بالقرب من شاطئ النيل فى حى الدباغة مع بعض الأخوة أذكر منهم فوزى حسون وكيلانى عبد القادر إلى جانب حسين طه نفسه.. مجرد حفله لكى أسمعهم فنى فقبلت وكان هذا اليوم هو يوم ثلاثاء وكان أجازة لا أذكرها فذهبت فى عربة الأخ عزمى كيلانى صالون "أوستن" ودى كانت العربة الوحيدة بين الشلة فوجدتهم جميعا منتظرنى.. وكانوا مرحبين بى ومبسوطين للغاية ومضى اليوم وفى نهايته بدأ الأخ حسين وبقية الأخوة يقنعونى بأن أذهب لمحطة الإذاعة بكلام كثير وهو

أنـي سـأعمل دعاية لبلدى وأيضا لي أنا ولفني وسيكون عندى معجبين كثيرين وحكون نجم من نجوم الغناء في السودان وكلام ذى ده..ولما قبلت على أساس أى يوم ثانى قالوا لى لا دى فرصة كويسة تروح النهاردة الإذاعة ونحن معاك نشيل ليك ونقف وراك وكان إغراء جميل بالطبع فقبلت وذهبت معاهم فعلا إلى محطة الإذاعة ووصلنا إلى ميدان البوسطة ففوجئت بعدد كبير من المستمعين ينتظرون الأخبار طبعا ولا علم لهم بى، وحصلت لى خوفة شديدة ولكنهم ظلوا يشجعوني إلى أن أدخلوني مبنى البوسطة وعند المدخل استقبلتني هيئة الإذاعة بترحاب شديد اندهشت له أتاريهم كانوا عارفين محاولة الأخ حسين طه والتى نجحت بالفعل ودخلنا جميعا إلى غرفة ثانية بالقرب من غرفة الإذاعة وكانت الإذاعة بترسل أخبار وبعد فترة وجيزة قال لى الأخ حسين طه:

يالا يا سى حسن دورك جه وشد حيلك ولا تخف ونحن معاك وربنا معاك فدخلت بخطى ثابتى وبدأت الغناء بعد أن ولع لى نور أحمر وكانت أول أغنية أغنيها بمحطة أمدرمان هى أغنية "خدارى البى حالى ما هو دارى" غنيتها بالعود والجماعة يرددوا وراى وبشيلوا وانتهت الأغنية بسلام وخرجت عادى إلى أن قابلت أول ناس وكانوا هيئة الإذاعة فحيونى تحية شديدة وهنونى وكنت فاكر الحكاية أنتهت على كده ولكن بعد قليل هجم على جمهور المستمعين وحملنى بعضهم على الأعناق مع دهشتى الشديدة ومع هتافات : يعيش حسن عطيه مطرب الإذاعة وكانت كل مجموعة تحدفنى إلى أخرى وأنقطع قميصى وحالتى ساءت ففكرت هيئة الإذاعة فى إحضار البوليس الذى تدخل وأنقذنى منهم بعد أن اصابنى الإرهاق تماما وكان

ينتظرني السيد أدوارد عطيه بعربته "الفورد" الصفراء ومن وراه البوليس وهو الوحيد اللي كان بينقل أعضاء هيئة الإذاعة من منازلهم إلى الإذاعة وبعدها إلى منازلهم مرة أخرى وحيث أني أصبحت منهم فأصر أن يوصلني إلى منزلي وخصوصا وأنا الآن في حالة تعب شديد وفعلا ركبت معه العربة وأنا بالمنظر ده إلى أن وصلت إلى الخرطوم عموم بجوار جامع الخرطوم ولما شافوني أهلي أنزعجوا غاية الإنزعاج وشاكلوني وقالوا لي تاني ما تروح الإذاعة..

قضيت ليلتي و أنا فرحان جدا بما استقبلت به من حفاوة بالغة.. وفي الصباح ذهبت إلى المكتب وكنت باشتغل بالمعمل الكيماوي كمحلل فحص تحاليل طبية فقابلني المدير وزعل مني جدا وقال أن هذا العمل يتنافى مع العمل في المعمل فصدمت صدمة عنيفة بعد هذا التهديد و استمريت في عملي وبعد قليل حضر إلى زميل وأسمه حسن سليمان غير حسن سليمان المطرب أخيرا ، وهو يحمل معه جريدة "النيل" ودى كانت جريدة حزبية وتتبع حزب الأمة وفي أول صفحة خبر عني معناه أن الإذاعة نجحت في اختيار المطرب الجديد صاحب الصوت الجميل والنغم الحلو فوجدت نفسي في موجة شديدة من المتناقضات ولم يتم اليوم إلا ووجدت خبر آخر مفاده أن شخصية كبيرة جدا اعترضت على الأغنية باعتبارها من أغاني البنات الساقطات وقامت الدنيا وقعدت وأنا أنظر لهم حتي وصلت بعد كده إلى حل بأن يوم الثلاثاء المقبل واللي لازم أنا أغني فيه بأن أقدم أعتذاري بحجة أني لا أستطيع الغناء لأن المدير بتاعي منعني وكان المدير إنجليزيا ويعمل بالمعمل كرجل علم.. وقامت الدنيا مرة أخرى وقعدت ولكن هذه المرة كانت بين مدير المخابرات ومدير المعمل واشتغلت التليفونات والمكاتبات لإقناع مديري بأن هذا العمل عدائي منه لبريطانيا

وبأنهم مستعدون لأن يجدوا لى عملا بنفس الإذاعة وأترك العمل فى المعمل.. وبعد تهديد شديد من مديرالمخابرات قبل السيد المدير، رحت الإذاعة المرة دى وأنا خايف تماما من أهلى ومن المدير.. ولما وصلت المحطة وجدت الجماهير أكبر من أول مرة فخفت يحصل اللى حصل قبل كده ولكنى وجدت أن الحكومة احتاطت وعملت لى كردونا من البوليس واستمريت بعد كده أغنى فى المحطة أنا يوم الثلاثاء والحاج سرور يوم الخميس إلى فترة طويلة وكانت مدة الإرسال كما هى ولما صارت أغانينا محببة إلى الجماهير فكرت كل عيلة فى العاصمة المثلثة فى أن تحضر ليها را ديو وفعلا وصلت الخرطوم كميات محدودة من الراديوهات وكانت تعمل بالبطارية لأن الكهرباء لم تكن فى كل بيت وبعد كده زيدت فترة الإرسال من ربع ساعة إلى نصف ساعة بعد أن زاد على البرنامج المعلقون السياسيون والمتحدثون بأسم الحكومة وأزدحم البرنامج ففكرت هيئة الإذاعة فى فترة إضافية اللى هيه يوم الجمعه فى الصباح لأن كل الوطنين والعمال بيكونوا فى أجازة وفى فترة يوم الجمعة كنا نلتقى أنا والحاج سرور لنقدم حفلتين تتخلل البرامج كلها كانت عبارة عن القرآن الكريم لمدة خمس دقائق والباقى كله كلمات سياسية وتعليق على الأخبار إلى جانب الحفلتين الغنائيتين .. واستطعنا من خلال هذه الفترة تكوين جماهير كبيرة أنا والحاج سرور وبدأ التنافس الحقيقى بيننا أحنا الإثنين فى إختيار الأغانى الحماسية الجيدة والأغانى الحربية القديمة وأنا كنت باخد أغانى من العم صالح عبد القادر ومن بعض الشعراء العرب واللى كانوا بيراسلوا الإذاعة فى أمدرمان أما الحاج محمد أحمد سرور فكان بياخد أغانيه من شعراء الحقيبة مثل أغنية يا رجال الحدود وأغنية المتطوعات ذى الزهور منوعات..إلخ.

الراديو ساهم في نشر الأغنية

بدأ ظهور أجهزة الراديو بكميات محدودة في العاصمة وبعدها توالي وصول كميات أخرى من هذه الأجهزة ووزعت على الأقاليم والراديو كما قلت كان بالبطارية وكانت هذه الكمية تقتنيها بعض العوايل الميسورة الحال سواء كان ذلك في العاصمة أو في الأقاليم ولكن أهل العاصمة ما كان عندهم مشكلة كبيرة في تعبئة البطاريات أما المشكلة فكانت بالنسبة للأقاليم لأن بعض المواطنين الذين اقتنوا هذا الراديوهات كانوا يسكنون في القرى حيث لا توجد ورش صيانة هناك لذلك كانوا يذهبون إلى أقرب مركز لملء بطارياتهم من هناك وكان ده يحتاج إلى جهد ووقت إلى جانب ما كان يكلفهم هذا الأمر الكثير خصوصا إذا كان الوقت وقت خريف فيكون التعب والمجهود مضاعفا ولكن رغم ذلك كله فإن الكل كان مبسوط جدا لأنهم شعروا بأنهم لأول مرة في حياتهم الطويلة يستمعون إليّ من أجهزتهم وهم في منازلهم وقراهم بعد فترة العمل المضني والطويل.

بعد كده بدأنا أنا والحاج محمد أحمد سرور في تكوين جماهير من بوادى السودان معجبين بالحاج ومعجبين بي وبدأنا ننتشر في بعض قرى السودان ومراكزه وأصبح لكل واحد منا عشاق لفنه ولطريقته في أداء أغانيه وزيدت بعد كده فترة الإرسال إلى ساعة في اليوم ولمدة أربعة أيام في الأسبوع مع فترة الصباح وكثروا المعلقين السياسيين أيضا وانتشرت بعده كده أجهزة الراديو في كل مكان في جميع أنحاء السودان وانتشرنا نحن بالتالي أنا والمرحوم سرور .. بعد أن وصل الفنان إبراهيم الكاشف العاصمة كما أشرت وكان معه بعض الشعراء ومن بينهم بابكر السلاوى وعلى المساح وتقابلت مع الكاشف وسرعان ما أنضم إلينا أنا وعبد الكريم حمدى ورحبنا به واتخذناه

صديق وزميل جديد وبدأنا في تنفيذ وتوحيد عملنا كمجموعة ولكن حصل بينا خلاف بسيط بعد اقتراح الكاشف بأن أعزف له على العود أثناء الحفلات وطبعا أنا رفضت في أن أكون عازفا وهذا الخلاف أدى إلى هروب الكاشف منا والسعي وراء إيجاد عازف عود له وفعلا وبعد أيام عثر إبراهيم على إثنين من الأخوان هما عوض فضل الله وحجازى وكانا من سكان الموردة بأمدرمان وكانوا بيعزفوا على العود والكمان وبعد أن مرنهم على أغانيه قدم نفسه لمحطة الإذاعة ونجح طبعا فكان هو وعوض وحجازى يكونون فرقة وأنا وعبد الكريم نكون فرقة أخرى وبعد فترة من الزمن جمعنا السيد حسين طه زكي وقال يا جماعة أنا شايف أنكم بالطريقة دى ما تأدوا عمل جيد متكامل فأحسن أنكم توحدوا العمل مع بعض وبعد نقاش طويل اتفقنا على أن نوحد العمل وبدون ما أعزف العود لإبراهيم في الحفلات الخارجية وبعد ذلك فكر الأخ إبراهيم في الحفلات الخارجية وبعد ذلك فكر الأخ إبراهيم في التعلم على عزف العود وفعلا تدرب عليه ولكن بكل أسف وكما أشرت من قبل لم يستطع إبراهيم أن يتعلم العود، واستمرينا على هذه الطريقة فترة كبيرة نلحن ونغني كمجموعة متماسكة وبعد قليل من الزمن وبعد أن شعر أبو خليل بأن له جماهير لا تقل عن جماهيرى اجتهد وواظب وعمل العديد من الأغاني الجديدة وبدأ التنافس الحقيقي بيني وبين أبو خليل فكان كلما عمل أغنية جديدة كنت أنا لازم أعمل واحدة جديدة وتكون أحسن من أغنيته ونفس الشئ كان ينتظرني أول ما كنت أعمل حاجة جديدة كان إبراهيم يجتهد بأن يعمل أحسن منها وفي ذلك الوقت كانت جماعة الحقيبة المكونة من الحاج سرور والأمين برهان وعبد الكريم كرومه ومحمد الأمين بادى وعلى الشايقي ومعهم شعراؤهم مثل المساح وعبد الرحمن الريح وأبو صلاح والعبادى كانوا جميعا في منافسة شديدة في

الأغاني الغزلية والحماسية وكانوا يغنوا أيضا في بيوت الأفراح وإحياء المناسبات المختلفة سواء في مناسبة العرس أو مناسبة الطهور إلى جانب الحفلات التي كانت تقام بمناسبة وداع الأصدقاء أو استقبالهم وكانوا يعملوا قصائد خصيصا لهذه المناسبات وكثيرا ما كانوا يتغنون بقصائد وأغنيات بأسماء المحتفى بهم سواء كان العريس أو غيره مثلا لما يكون العريس كويس معاهم وحفلاته جميلة فإذا كان إسمه منصور مثلا يقولوا: عشت يالمنصور والنعيم عليك يدوم والهنا ومن هنا بدأ التنافس بيننا جميعا أنا وإبراهيم من جهه وفناني الحقيبة مع شعرائهم من جهة أخرى وهكذا اشتد كما أشرت بيني وأبو خليل كمغنيين جدد وبنغني على الطريقة الجديدة بمصاحبة الآلات الحديثة بينما كان ناس الحقيبة يؤدون أغانيهم معتمدين على الإيقاعات فقط والصفقة بأيديهم.. وبعد ذلك فكروا في استخدام بعض الآلات إلى جانب الصفقة وأتذكر أن أول واحد منهم وهو الحاج سرور كلمني مرة وسألني عن العود وكيف ممكن الواحد يتعلمه وشرحت له الطريقة ولكن يظهر أن الحاج لم يعجبه كلامي وانصرف كل إلى طريقه والظاهر أنه لم يعجبه أني أنا الشافع الصغير يتتلمذ على يدى ويتعلم العود ففكر أنه لازم يسافر إلى مصر ويتعلم العود هناك دون أن يراه أحد وفعلا اتفق مع أحد المكتبات في الخرطوم وهي مكتبة السيد محمد داوود وكان مصرى الجنسية وكان من ضمن عمله في المكتبة أن يرسل فناني الحقيبة إلى مصر لتسجيل الأغاني هناك وكان هذا العمل يدر عليه مبالغ كبيرة وفعلا تم الإتفاق معه وسافر الحاج سرور إلى القاهرة وبعد أن سجل أغانيه في مصر عند واحد خواجه اسمه "مشيان" وكان الوحيد المختص بتسجيلات السودانيين بدأ بعد ذلك في تعلم العود ويظهر أن الحاج فشل في إيجاد مدرس لأن كل الذين كانوا يعزفون على العود لا يعرفون طريقة

أغانيه السودانية معرفة كافية ففكر الحاج سرور فى أن يأخذ معه العود إلى السودان ولاحظ الحاج سرور أيضا بأن الرق والصاجات من الآلات ووزع على الشيالين ودربهم عليها وأجادونها إجادة تامة وفرح الحاج سرور فرحا شديدا بهذا التجديد ووصل السودان وظهر بهذه الآلات لأول مرة وطبعا قوبل الحاج مقابلة جميلة أرضت غروره وبهذه الطريقة كان الحاج مكتسحا لكل أبناء جيله ولفترة طويلة.. ورغم أن الحاج قد اكتسح السوق بالرق والصاجات ولكنه لم يزل بفكر فى تعلم العود وذهب بالفعل إلى أحد الأخوان وكان اسمه أحمد "شارلستون" وهو أحد عازفى العود واستمر معه فترة طويلة خرج منها بألف با العود ورغم أنه لم يجد العزف على العود إلا إنه كان يحمله معه فى أى مكان يذهب إليه أما بالنسبة لباقى فنانى الحقيبة فكانوا فى حيرة كيف يستمرون مع الحاج وهم مازالوا مغنون بالصفقة والحاج بالآلات الحديثة ومكتسح السوق.. وعشان كده تقدموا كلهم دفعة واحدة إلى السيد محمد داود صاحب المكتبة وصاحب مكتبة أخرى اسمه البازار وهو يونانى الأصل ومناسب للسيد محمد داوود وقد تم لهم ما أرادوا وأرسلوا من طرف المكتبيتن كل من عبد الكريم كرومه وعمر البنا ومحمد الأمين بادى وإبراهيم عبد الجليل والأمين برهان وسجلوا العديد من الأغنيات ولكن بالطريقة القديمة لأن الوقت كان لا يسمح لهم بدراسة هذه الآلات لأنهم كانوا مرتبطين بأيام قليلة لا تتعدى عشرين يوما إقامة بالقاهرة ولكنهم بعد أن سجلوا اشتروا هذه الآلات وعادوا بها إلى السودان حيث أجادوا العزف عليها بعد تدرب طويل واستمروا بها فى منافسة شديدة مع الحاج سرور الذى كان قد سبقهم ونال كل الإعجاب.

فى تلك الأيام ظهر أحمد المصطفى كما أشرت من قبل حيث حضر إلى العاصمة من الدبيبة فى ضواحى الخرطوم وعمل فى شركة أبو العلا وكان

يقيم مع مجموعة من أهل قريته وكان أحمد يشعر بأن عنده ملكة الغناء رغم أنه بدأ العزف على الصفارة أو الزنبارة كما يسمونها في منطقته وبعد أن اتصل بي أحمد أبدى رغبة في تعلم العود وفعلا أبدى استعدادا طيبا ورغبة أكيدة إلى جانب تمتعة بصوت سليم وأداء جيد واستمريت في دراسة العود له وبعد مدة بسيطة تعلم أحمد العود وبدأ يذهب معي إلى الحفلات الغنائية وأقدمه على أنه تلميذى ولكن لم تمر أيام حتى عمل أحمد بمفرده وأصبح له معجبون وخاصة من الشباب لأنه كان يختار الأغاني التي تخاطبهم ونجح أحمد المصطفى في هذا المجال إلى حد بعيد.. وبعد كده دخل أحمد الإذاعة وكان بعد الكاشف وأصبحت إذاعة أمدرمان في تلك الفترة تمتلك رصيدا كبيرا من الفنانين وهو السبب الذى دعاها إلى مد فترة الإرسال وزادت عدد ساعاتها بعد كده جلسنا أنا وأحمد والكاشف وأخذنا العازفين ونظمنا عملنا على أن نكون يدا واحدة ووحدة متكاملة لنعمل معا على رفعة الفن السوداني في بلادنا بطريقة جديدة ومبتكرة وفعلا وحدنا عملنا داخل الإذاعة بأوركسترا موحدة من الأخوة عوض فضل الله وحجازى وعبد الكريم حمدى وأنا وأحمد المصطفى هذا بالنسبة للإذاعة أما بالنسبة للحفلات فكان نفس الشئ كل واحد ما يكون عنده حفلة خارجية جميع أفراد الأوركسترا يحضروا معاه.. وبعده كده فكرنا في إيجاد عازف طبلة وذهبنا إلي قوة دفاع السودان ووجدنا شابا صغيرا اسمه عبد الكريم أحمد وكان من ضمن أوركسترا موسيقات الجيش وطلبنا منه أن يشترك معنا في أوقات فراغه فرجت الشاب بعد أن استاذنا له من رئسه السيد محمد مرجان والذى وافق بشدة.. وهكذا اكتمل الأوركسترا وكان فتحا جديدا في عالمنا الموسيقى.

وأصبحنا جنود فى قوة دفاع السودان

كان الإيقاع فى هذه الأوركسترا عبارة عن وحدة جاز مصفرة حيث كان يتكون من طبلة كبيرة وطبلتين صغار وصاج كبير وكان عبد الكريم أحمد يعزف عل هذه الآلات بطريقة مبتكرة مما جعل المستمعين يميلون إلى سماعنا أكثرمن جماعة حقيبة الفن والتى اكتسحناها اكتساحا شديدا قلل من ظهورها خصوصا فى حفلات الأندية فى العاصمة المثلثة.. وبعد أن كانت فترة الإرسال بالإذاعة لمدة ساعة كل يوم وأصبح عدد الساعات بالإذاعة ثلاث ساعات فى الأسبوع وساعة أخرى يوم الجمعة وزادت شهرتنا فى الأقاليم وأصبح لكل واحد منا أنا وإبراهيم وأحمد معجبون وبدات تطلبنا الأقاليم فى حفلات جماعية وبالمناسبة دى أحب أن أشير بأن أجرنا فى الإذاعة كان خمسين قرش لاغير ولكن فى الأقاليم كانت حسب التساهيل .. مصاريف القطر والأكل على النادى صاحب الحفلة وبعد كده يعطينا اللى فيه النصيب..

المهم بعد كده انتشرت الرا ديوهات فى أقاليم السودان وكثرت مشاكلها كما قلت من قل من حيث ملء البطاريات وعدم وجود محلات صيانة للأجهزة ولكن هذا لم يمنع المواطنين فكانوا مصريين على سماعنا وبدأوا بالفعل يراسلون إذاعة أمدرمان ويطلبون منا الأغانى المحببة إليهم.. وكانت تحصل مناقشة شديدة بينهم إذا إذيعت أغنية لأحد ولم تذع أغنية لأخر.. ولهذا اشتد الضغط على محطة الإذاعة حتى بدات فى إذاعة برنامج "ما يطلبه المستمعون" ولأول مرة وانتظم هذا البرنامج وكان يذاع فى تمام

الساعة الرابعة من بعد ظهر أيام الثلاثاء والخميس من كل أسبوع وكان كل مغن منا يؤدى أغنية واحدة ومعها كسرة أو أغنية خفيفة هدية منه للمعجبين به ممن طلبوا القصيدة وكان فى برنامج ما يطلبه تنافس شديد بين المشتركين من الفنانين فكان كل مطرب يغنى فى هذه الفترة بمشاعر صادقة وإخلاص شديد وفى ذهنه أنه لابد أن يتفوق على زميله الذى سبقه أو الذى سيغنى من بعده وكان التنافس يشتد أكثر وأكثر كلما كان معظم الذين يطلبون الأغنية من السيدات أو الأنسات باعتبار أن دى حاجة جديدة وكان المطرب يؤدى أحسن ما عنده وكنا نقول يا رب! مين كان أحسن واحد! إلى أن نلتقى بالمعجبين خارج مبنى الإذاعة ونشوف مين أكثر واحد التف به الجمهور وهنأه بأغنيته المطلوبة وينتهى الوضع إلى أن يذهب كل واحد إلى منزله وهو يفكر فى البرنامج القادم وبضرورة ظهوره فيه بشكل أفضل.

أذكر ونحن فى هذه الحالة أنى فكرت أتكلم مع المسئولين فى أن يعملوا لنا مجلة تختص بالإذاعة فتقدمت بطلب إلى السيد حسين طه زكى وكان فى ذلك الوقت مدير الإذاعة المباشر وقبل الطلب فعلا وكان مسرورا منه جدا لأن فى هذا عمل كبير يزيد من أهمية الإذاعة وفعلا تم لى ما أردت وخرجت بعد ذلك مجلة "هنا أمدرمان" وكنت أول من ظهرت صورته، وبعد كده بدأت المجلة تأخذ وضعها فى الأنتشار لأنها بتنشر أخبار الفن والفنانين إلى جانب صورهم وده كان شئ مهم بالطبع بالنسبة للمستمعين فى كل أنحاء القطر وخارج الحدود أيضا وبدأت ترسل الطلبات من خارج البلاد وزاد عدد طالبى الأغانى فى برنامج "ما يطلبه المستمعون" ومن هنا فكر

الأستاذ حسين فى عمل كوبون داخل المجلة يكتب فيه أسم المغنى المطلوب والأغنية المطلوبة له.. وهكذا خرج أول عدد يحمل الكوبون الذى يتيح لمقتنى هذا العدد بأن يرسل الكوبون إلى محطة الإذاعة فى أمدرمان بعد أن يملأ البيانات المطلوبة وفى هذه الحالة يمكن للمشترك أن يفوز بجائزتين الأولى تذاع له الأغنية وإذا فازت أغنيته بأكبر الطلبات وتفوقت عن غيرها يفوز أحد المستمعين باشتراك سنة فى مجلة "هنا أمدرمان" بالمجان طبعا وهذا الموضوع أوجد بيننا تنافس كبيرا وشديدا وجعل كلا منا ينتج أنتاجا سريعا وممتازا فى نفس الوقت، ونظرا لزيادة عدد مستمعينا فى أقاليم السودان فقد فكر كل أقليم فى عمل ناد رياضى ليستطيع أن يرسل باسمه لإحضار المطربين إلى مناطقهم وليستمعوا له مباشرة ويستمتعوا بأغانيهم فى نفس الوقت.. وفعلا بدأت رحلاتنا إلى أقاليم السودان شرقا وغربا وجنوبا وشمالا وأصبح السفر يدر علينا مبالغ لا بأس بها إلى جانب الشهرة والفسحة فى أقاليم السودان.

بعد كده فكرت الحكومة بعد إلحاح شديد من قواتنا فى الجيش المرابطة فى جنوب السودان وكان الجندى لما ينقلوه إلى الجنوب لازم يقضى مدة تمتد لسنتين وفى المدة المقررة لأى قرقة تذهب إلى الجنوب وطبعا دى مدة كبيرة لجندى يغيب فيها عن العاصمة ففكروا فى أن يرسلوا لهم على فترات متقطعة للترفيه عنهم فى مناطقهم وفعلا بدأنا نذهب إلى جنوب السودان وهذه العملية أضافت لنا معجبين جدد يعنى زاد رصيدنا من المعجبين، ولم نقف عند هذا الحد بل ولما اتسعت محطة الإذاعة وبدأت ترسل برامجها إلى أبعد من حدود السودان ولما كان جنودنا يحاربون فى عدة مناطق من ضمنها خشم القربة فى الحدود السودانية وداخل اريتريا

وحدود الحبشة وفي العلمين وطرابلس وكان الجنود يستمعون لإذاعة أمدرمان من هنا فكروا أيضا في طلب الفنانين إلى الميدان، وهذه كانت مفاجأة لينا بالطبع لأنه لأول مرة حيسمعونا في مصر وطرابلس وارتيريا والحبشة وفعلا انتظمت البعثات وكانت أول بعثة إلى طرابلس وكانت مكونة من الحاج محمد أحمد سرور وأحمد المصطفى والسر عبد الله والثانية ذهبت إلى أريتريا وكانت مكونة من حسن عطيه وإبراهيم الكاشف..وبدر التهامي وعينونا كجنود وألبسونا ملابس ضباط الجيش ولبس الجنود ولكن بدون رتب عسكرية وكنا بنسافر في الدرجة الخاصة بالضباط سواء كان ذلك بالقطارات أو بوابوارت البحر أو بالطائرة وكنا نقيم في الميدان في معكسرات الضباط أيضا ونعامل معاملتهم تماما وكنا نحمل على اكتافنا علامة ومعناها قوة دفاع السودان.. ومعنى هذا إذا أسرنا العدو نعامل معاملة الجنود ومن أول وحدة قابلناها وجدنا استعدادا كبيرا جدا وشارات نصر وعلامات تدل على قدومنا والترحيب بنا وزهور وورود تعلن عن مجيئنا واستقبالنا كأننا أبطال عظام وأذكر هنا أن المكافأة الفنية كانت عبارة عن مواهي شهرية تصرف في السودان وكان يصرف للفنان المغني مبلغ ثلاثون جنيها وللعازف ١٥ جنيها ولكن كنا عندما نذهب لأي وحدة ونحي لها حفلة ونغادرها إلى أخرى كانت الوحدة من فرط سرورها تقدم لنا ما لذ وطاب من أكل وشرب وحلويات إلى الهدايا من ملابس وسجائر وصابون.. الخ.. وفوق كل هذا كانت تسلمنا مظروفا مغلقا وبداخله مبلغ محترم كهدية من جميع الضباط وصف ضباط الوحدة وغالبا ما يكون ما بداخل المظروف قدر ماهيتنا الشهرية وربما يزيد وهكذا أمضينا ما يقرب من ٤٥ يوما متجولين داخل المعسكرات وداخل صفوف الجنود في الميدان..وكانت رحلة خطيرة بالطبع لأننا كنا بنعمل بالنهار خوفا من أن يرى العدو أنوار الحفل بالليل ويضرب في المليان..

من حصار كرن إلى حفلة سرور بالقاهرة

أذكر أننا دخلنا منطقة "كرن" حيث يوجد جنودناهناك وبعد وصولنا مباشرة حاصرت القوات المعادية مدينة "كرن" واستمر الحصار لمدة أربعين يوما.. وكان في داخل المدينة خندق كبيرا جدا كان يتسع لكل سكان المدينة.. وأذكر أن طائرات العدو كانت تضرب بالليل والنهار وكان الضرب مستمرا من الأرض ومن السماء.. وكنا بالطبع داخل الخندق وما كنا بنشوف الأرض إلا خلال سويعات قليلة نلتقى فيها مع بعض اخوانا السودانيين واستمرينا على هذا الحال فترة كبيرة وطبعا كنا منقطعين عن العالم لا أخبار ترد إلينا ولا أخبار نرسلها ولكننا لم نخف ولم نهب الضرب وكان الموضوع بالنسبة لنا مسألة أصبحت عادية ونأخذه كنوع من التسلية لصغر سننا وعدم تفهمنا لحقيقة ما كان يحدث بالضبط، واستمر الحال على ذلك حتى نقلنا إلى السودان.

ولما وصلت السو دان عائدا مع زملائي في البعثة علمت أن الأخوين سرور وأحمد بعد أن أكملوا رحلتهم في طرابلس عرجوا على مصر للراحة، وبعد أن قضيت فترة قصيرة بالعاصمة وأنا طبعا كنت منعنش يعنى عندى فلوس كثيرة طلبت من المسئولين أجازة أقضيها في مصر للراحة من رحلة الحرب فسمحوا لي وسا فرت فعلا إلى مصر التي كنت أمني نفسي من زمان لزيارتها ومشتاقا إليها اشتياقا شديدا وها هي الفرصة قد جاءت بالفعل وسافرت طبعا المرة دى وعلى كيفي وكان السفر إلى مصر بالقطار ثم بالبحر والقطار المصرى وكانت رحلة جميلة وممتعة للغاية.. ووصلت القاهرة بعد أن كنت قد أر سلت تلغرافا لمقابلتي بواسطة وكيل حكومة السودان وقابلني كل

الأخوان في محطة مصر وكان بينهم من الفنانين الحاج سرور وأحمد المصطفي وإبراهيم عبد الجليل وإسماعيل عبد المعين وكان معاهم كمان الأستاذ محمد أمين حامد المحامي والأستاذ عبيد حسن حسان المحامي وأيضا العازف السر عبد الله وأذكر أنني وصلت الساعة التاسعة صباحا وأخذوني إلي منزل الأخ عبده دهب فقد كان منزله قبلة لأخواننا الطلبة.. وفي نفس اليوم كانت فيه حفلة بنادي أتحاد شمال السودان لصالح النادي يحييها الحاج سرور وأحمد المصطفي وإسماعيل عبد المعين وإبراهيم عبد الجليل وطلبوا مني أن أشترك معهم ولكنني اعتذرت لأني كنت مرهقا من السفر ولأن أسمي لم يكن بالدعاية وفضلت أني أكون ضمن المستمعين.. ولما حل ميعاد الحفل حصل أندهاش شديد لأني ما كنت أنتظر أن يكون لنا معجبين في مصر بهذا الكم الهائل فقد أمتلأ النادي علي آخره إلي جانب حضور أعداد كبيرة خارج النادي لم يكن لهم مكان بالداخل ونفذت التذاكر عن آخرها.. ولاحظت أن دموع الفرح تغلب علي سرور بتفهم أهل مصر لفننا السوداني وكان بين الجمهور خليطا من أخواننا المصريين الذين يتطلعون للإستماع إلي الفن السوداني لأول مرة إلي جانب المصريين الذين سبق لهم أن عاشوا في السودان أيام وجود الجيش المصري هناك وهؤلاء عندهم فكرة مسبقة عن الفن الغنائي في السودان ومع هؤلاء كان هناك بالطبع مجموعة كبيرة من مواطني شمال السودان من أهالي حلفا ودنقلة من الذين يعملون في القاهرة إلي جانب خفر السواحل بأعداد كبيرة جدا وكانت ليلة جميلة استمرت حتي الساعات الأولي من صباح اليوم التالي وخرجت أنا شخصيا من هذه الليلة بأنني أخذت فكرة طيبة

عن الفن السوداني في مصر وما يدره للفنانين من مكاسب كبيرة فنية واجتماعية إلى جانب المكاسب المادية بالطبع.. وهكذا تحققت أمالي في حب مصر من أول يوم وصلت فيه إلى القاهرة ..

والشئ الذي أحب أن أؤكده أن اشتياقي لزيارة مصر والذى تحقق في ذلك اليوم بفضل الله كان نتيجة لما شفته وأنا في السودان من خلال الأفلام التي عرضت عنها في سينما الخرطوم ومن بين هذه الأفلام فيلم "الوردة البيضاء" لعبد الوهاب وفيلم "فاطمة" لأم كلثوم و"شجرة الدر" وغيرها فكانت صورا جميلة خالص كنا تواقين لرؤيتها والاستمتاع بمناظرها.. وباختصار كنا بنحلم كلنا بزيارة مصر وها هو الحلم وقد تحقق بالسفر والحضور وكان جيبي منتفخ ومازال من ا لرحلة بالفلوس وأذكر أن البدلة كلها كانت بتتكلف ثلاثة جنيهات قماش وتفصيل والترزى بتاعي مازال موجود الآن وهو سورى الجنسية واسمه يوسف خانجي..

واللي شجعنا كمان لزيارة مصر في الوقت داك أنه سمعنا بأن سرور وأحمد المصطفى بعدما رجعوا من شمال أفريقيا حيستمروا في مصر لفترة معينة وحنتقابل معاهم هناك وهذا ما حصل بالفعل وزاد من سرورنا فعلا.. وبعد كده اتلمينا مع بعض وفكرنا في عمل حفلات بالمسارح وفعلا عملنا أكثر من حفلة ولاقت هذه الحفلات أكبر نجاح وكنا بنعملها في مسارح عماد الدين وأذكر أننا عملنا واحدة في مسرح الريحاني وبعد فترة سافر أحمد المصطفى وسرور إلى الخرطوم واستمريت أنا في القاهرة وكان معاى من العازفين السر عبد الله وعبد الفتاح مرجان وفي الوقت ده كان في مصر أول أثنين طيارين سودانيين درسوا الطيران في شركة مصر للطيران وهما موسى

عن الفن السوداني في مصر وما يدره للفنانين من مكاسب كبيرة فنية واجتماعية إلى جانب المكاسب المادية بالطبع.. وهكذا تحققت أمالي في حب مصر من أول يوم وصلت فيه إلى القاهرة ..

والشئ الذي أحب أن أؤكده أن اشتياقي لزيارة مصر والذي تحقق في ذلك اليوم بفضل الله كان نتيجة لما شفته وأنا في السودان من خلال الأفلام التي عرضت عنها في سينما الخرطوم ومن بين هذه الأفلام فيلم "الوردة البيضاء" لعبد الوهاب وفيلم "فاطمة" لأم كلثوم و"شجرة الدر" وغيرها فكانت صورا جميلة خالص كنا تواقين لرؤيتها والاستمتاع بمناظرها.. وباختصار كنا بنحلم كلنا بزيارة مصر وها هو الحلم وقد تحقق بالسفر والحضور وكان جيبي منتفخ ومازال من ا لرحلة بالفلوس وأذكر أن البدلة كلها كانت بتتكلف ثلاثة جنيهات قماش وتفصيل والترزى بتاعي مازال موجود الآن وهو سوري الجنسية واسمه يوسف خانجي..

واللي شجعنا كمان لزيارة مصر في الوقت داك أنه سمعنا بأن سرور وأحمد المصطفى بعدما رجعوا من شمال أفريقيا حيستمروا في مصر لفترة معينة وحنتقابل معاهم هناك وهذا ما حصل بالفعل وزاد من سرورنا فعلا.. وبعد كده اتلمينا مع بعض وفكرنا في عمل حفلات بالمسارح وفعلا عملنا أكثر من حفلة ولاقت هذه الحفلات أكبر نجاح وكنا بنعملها في مسارح عماد الدين وأذكر أننا عملنا واحدة في مسرح الريحاني وبعد فترة سافر أحمد المصطفى وسرور إلى الخرطوم واستمريت أنا في القاهرة وكان معاي من العازفين السر عبد الله وعبد الفتاح مرجان وفي الوقت ده كان في مصر أول أثنين طيارين سودانيين درسوا الطيران في شركة مصر للطيران وهما موسى

بدرى ومحمد أيوب وبعد التخرج فكروا بدل ما يرجعا بالقطر يرجعوا لناسهم بالطائرة لأول مرة وبعدين الشركة طلبت منهم ٣٠٠ جنيه مصاريف الطائرتين ماشى وجاى وما كان عندهم هذا المبلغ فجاؤا إلى عشان أعمل لهم حفلة بالأسكندرية حيث كان يقيم الطيار محمد مع ذويه بصفة دائمة.. وبالفعل عملت الحفلة بتبرع منى وكان إيرادها ستمائة جنيها وكانت فى سينما الهبرا وحضرها كل السودانين الموجودين بالأسكندرية وأيضا حضر من القاهرة عدد كبيرة وكان هذا فى عام ١٩٤٤ وفى نهاية الحفل طلبوا منى أما أخد أجر أو أسافر معاهم إلى السودان بالطائرة وفى نفس الوقت طلبوا من السيد على البرير أن يطير فى الطائرة الثانية وأنا رفضت السفر وأيضا على رفض لما قالوا له أن العمر واحد فقال أنا عارف عشان كده لازم أحافظ عليه.. وطار السيدان موسى بدرى ومحمد أيوب إلى السودان وهكذا انتهت رحلتى الأولى لمصر بنشاط على المسرح فى القاهرة والأسكندرية وحفلات فى نطاق السودانيين ورجعت إلى السودان لأزاول عملى كالمعتاد.

وإذا رجعنا للحديث عن إذاعة أمدرمان فنقول أن من الأصوات التى ظهرت فى ذلك الوقت عائشة الفلاتية وكانت الحرب قد قاربت على الأنتهاء وبدا الجنود يرجعوا لأهلهم فغنت لهم عائشة "ييجوا عايدين أن شاء الله" وفى نفس العام ١٩٤٥ م فكرنا تانى نروح القاهرة وجينا كلنا الأسماء المعروفة فى ذلك الوقت وحضر معنا لأول مرة أبراهيم الكاشف وكان فى الوقت ده بدأت الإذاعة تخصص مساحة لإذاعة مواد سودانية ولمدة ربع ساعة فى الأسبوع واشتركنا على الهواء فى تقديم فقرات غنائية

فيهذا الركن المخصص للسودان وكان المسئول فى هذا الوقت المرحوم توفيق أحمد البكرى وفى هذه المناسبة ما أنساش أن اللى كانوا بيدرسوا فى القاهرة من السودانيين واللى كانوا بيجتمعوا فى بيت السودان فى هذا الوقت فى الدقى أذكر منهم د. عقيل أحمد عقيل وبشير البكرى وعز الدين على عامر وعبيد حسن حامد وعبد الماجد أبو حسبو.

وهكذا دخلت لأول مرة مبنى الإذاعة المصرية فى شارع الشريفين لأقدم أول أغنية للمستمع المصرى وكانت برضه أغنية خدارى نفس الإغنية التى قدمتها لأول مرة فى إذاعة أمدرمان أيام البوسطة "البوستة وأجرى كان خمسة جنيهات عن الحفل وطبعا الأغنية أو الفاصل الغنائى كان على الهواء مباشرة وأذكر وأنا فى الشباك أمام الصراف كنت أنا وأحمد المصطفى وفريد الأطرش وكان بيقبض نفس المبلغ نظير حفلة على الهواء فى البرنامج العام..

كنت أقيم فى حى عابدين ٤ حارة درويش مع الأخ عبده دهب فى منزله الخاص وده اختاره لى أخوانى الفنانين لأن سرور وأحمد المصطفى كانوا ساكنين فى نفس الحى ومأجرين حجرة وفارشنها بمعرفتهم.. واستمريت مع الأخ عبده دهب وكنا دائما بنجتمع فى هذا البيت لعمل البروفات والونسة وزى ما قلت ليكم أخوانا الطلبة اللى ذكرتهم قبل كده كانوا دايما يحبوا يقعدوا معانا ويختاروا لينا الأغانى اللى بنشترك بيها فى الحفلات.

رحلة القاهرة وأغنية "ست العربية"

يمكن القول بأن زيارتي الأولى للقاهرة قضيتها في الحفلات المخصوصة لأخواننا الطلبة إلى جانب الحفلات الرسمية عشان كده لم أتفرغ كلية للتعرف على معالم البلد التي أزورها لأول مرة وكان أهم ما في الموضوع وجود الأخ عبد المنعم عبد الحي وكان قد بدأ حياته كشاعر في القاهرة ولصداقتي معه من الكتاب ومن الخلوة في الخرطوم كما أشرت من قبل اهتم بي جدا الراجل وأعطاني كل انتاجه في ذلك الوقت وبدأنا أنا وهو نلحن ولا أنسى أن عبد المنعم غير أنه شاعر وأديب كان عنده فكرة كبيرة جدا عن الألحان وكثيرا ما كان يشترك في أداء أغانيه وفي نفس السنة فكر عبد المنعم في الزواج وأقمنا له حفلات اللي بنسميها عندنا حفلات "سد المال" والحفلات دي أخذت مننا أياما وليالي وأول مرة أشوف فيها الأفراح المصرية السودانية وأنا أتذكر بأن أخواننا المصريين اللي كانوا بيسمعوا أغاني بعض المطربين القدامي مثل بشير الرباطابي أول سوداني سجل في القاهرة- كانوا مستغربين جدا من الأسلوب الجديد بتاعنا وبدأوا يتفهمون أغانينا ويتجاوبون معانا- وده خلاني أزيد الاهتمام بكل ما أقدمه من أغنيات جديدة لاني حسيت فعلا بأني أضفت إلى جمهوري العديد من المصريين.

وأذكر في هذه الأيام أنه كان موجود بالقاهرة المرحوم بشير عبد الرحمن- وهو أحد شعراء السودان ودرس الهندسة بالقاهرة وكان يعمل في هندسة الري بأسوان- وفي فترة الاجازة اجتمع بنا أنا وإبراهيم عبد الجليل وكتب

أول أغنية تغنت له في ذلك الوقت وكانت أغنية "ست العربية" وهذه الأغنية كان ليها قصة طريفة ما كانت من وحي جلساتنا كان وهو موجود في محل الجمال بشارع عدلي بالقاهرة ومعه بعض الرفاق ومرت بالشارع بنت من بنات الذوات وكانت تقود سيارة من النوع الفاخر "كاديلاك" وكانت لأول مرة ترى أخوانا السودانين بمنظر آخر غير الجلابية السودانية.. فتوقفت للمنظر ده وحيتهم وسألتهم من وين! فقالوا من السودان وبعد التعارف عرضت عليهم الفسحة وقبلوا بصحبتها بعربتها وأول ما أنطلقت مرت بقصر النيل وطافت بيهم الجزيرة وفي نفس الوقت كانت تتونس معاهم عن بلدهم وحياتهم ومن هنا نزل الوحي على الشاعر بشير عبد الرحمن بكلمات أغنية ست العربية والتي يقول في مطلعها.

دي صدفة في الجمال شغلت علينا البال   خليت صديقنا جمال

وأعتقد أن فيه كثيرا من الأصدقاء اللي حضروا معانا الوقت ده يتذكروا جيدا قصة هذه الأغنية وأنا حسة وأنا بحكيها في ذهني قصة الأغنية كما رواها الأصدقاء ودي في الحقيقة مش حاجة غريبة بل حاجة عادية جدا بعد كده شفناها مع عشرات الأغاني.. والأغنية دي بالذات "ست العربية" كان بيغنيها المرحوم إبراهيم عبد الجيل فقيد الفن والمعروف باسم عصفور السودان.

ورجعت السودان بعد كده لأواصل نشاطي وبدأ يظهر عدد من المطربين الجدد أذكر من بينهم عبد الحميد يوسف وعثمان حسين والتاج مصطفى وعثمان الشفيع إلى جانب حسن سليمان.. ويظهر الأصوات الجديدة دي زادت المنافسة بيننا وزاد النشاط بالنسبة للحفلات والرحلات في داخل

السودان وبدأ كل واحد فينا يميل إلى التجديد في ألحانه وفي نفس الوقت ازداد عدد العازفين فظهر حسن الخواض

وأحمد حامد النقر، واستمر نشاطنا في نطاق الحفلات الساهرة والإذاعة والمسارح إلى جانب ليالي الأفراح ولكل مطرب جماهيره وبالطبع بدأت الإذاعة تعمل دعايات للمغنيين وأسماني الأستاذ حسن طه زكي "بأمير العود" لأني كنت أول فنان يظهر في بالعود وسمي أحمد المصطفى فنان الإذاعة الأول وسمي المرحوم الكاشف "مطرب الجماهير" وبعد كده كل واحد فينا اتجه لنوع معين من الغناء يناسب جماهيره فسميت أنا بعد كده بفنان الطبقة الراقية لأني كنت متخصص في حفلات كلية غردون اللي هي جامعة الخرطوم الآن.. وما أنسى من الشعراء اللي كانوا بيكتبوا لي القصائد في ذلك الوقت من بينهم عبد المنعم عبد الحي وإبراهيم الطاش وعبد الرحمن الريح وعمر البنا وخضر حسن سعد وغيرهم، وأول شاعر شفته في الحقيقة قبل الأسماء دي كان المرحوم الخليل وذي ما أشرت في بداية ذكرياتي كان الخليل بيالف ويغني وأنا كنت بحفظ وراه وقت أن كنت طفل صغير مع حسن سليمان وكان عبد القادر سليمان يرعاني وازدادت بعد كدة رعاية عبد القادر سليمان لي وكنت في ذلك الوقت مازلت أتطلع لكلمات جديدة عشان ألحنها براي وفي اللحظة دي كان معانا صديق يكبرني بحوالي ثمان سنوات تخرج في كلية غردون وكان يزاول الشعر وهو المرحوم خضر حسن سعد فاتصلت به عشان يعمل ليي أول قصيد غنيتها من شعره وتصادف أن كان معنا أحمد إبراهيم الطاش وكان شاعرا قديما يكبرنا بكثير فأنبسط مني لدرجة أنه تبرع بعمل قصيدة هو الآخر وبعد يومين من الكلام ده كان الطاش أسرع من المرحوم خضر فأعطاني قصيدة أسمها "حبيبي اللول" فلحنتها ولما سمعتها له هو وخضر أعجبوا بها جدا وكان

خضر في الوقت داك ما حضر ولا كلمة من قصيدته اللي وعدني بيها واقترح في الليلة دى أنه نمشي نسهر في محل "شناكة" المعروف في ذلك الوقت ورحنا هناك وأول ما جلسنا مرت علينا فتاة متفرنجة شوية وهي كانت في الأصل طليانية من ناحية الأب وأمها سودانية وكانت جارتي في نفس الوقت فلما مرت على وسلمت ، اخذت معي فترة قليلة من الزمن على قرب من نفس الترابيزة بتاعتنا ومنظر زى ده كان نادر زمان وغريب شوية وبعدين هما طلبوا مني أن تجلس معاى فقلت لهم أنها ماشية لخطيبها وما ممكن تجلس معانا المهم أن المنظر ده أوحى للمرحوم خضر حسن سعد أنه يعمل قصيدة لي وبالفعل عمل أول قصيدة لحنتها له وكانت أغنية:

يحيا الحب دام صفانا وعاش النيل الروانا

بعد كده أنا بديت أخد من الإثنين خضر والطاش وكل قصائدى في الفترة دى كانت منهم ولما نجحت قصائدهم في الإذاعة تقدم لي بعدهم ثالث شاعر أتعاون معه وهو عبد الرحمن الريح وقدم لي الريح سبع قصائد دفعة واحدة فلحنتها كلها وقدمتها تباعا أبتداء من ١٩٤٤م وكانت من بينها أغنيات : أقول أنت نور، لو أنت نسيت، أنت حياتي وأغنية الخرطوم وغيرها.. وهذه الأخيرة "الخرطوم" نجحت جدا لأنها أول قصيدة تصف مدينة الخرطوم ونجحت نجاحا كبيرا لدرجة أنهاعجبت مدير الاستعلامات الانجليزى في ذلك الوقت اللي هو "المستراربر" وأصر أنه يعمل منها فيلما وكان يهدف من وراء هذا خدمة الاستعمار وفعلا تم عمل الفيلم لأغنيته الخرطوم وكان ملونا ولأول مرة يظهر فيلم ملون في السودان وطبع في لندن وكانت مدة الأغنية سبع دقائق وتم يصور المناظر في المقرن وسراى الحاكم العام وفي جناين شمبات أيضا.

عبد الرحمن الريح وضع هيكل ألحان معظم أغنياته

ومن حق الشاعر عبد الرحمن الريح على الآن وأنا أسجل ذكرياتى إلا أسلبه حقه فى التعاون المخلص معى فى بداية حياتى الفنية فى ذلك الوقت فهو الشاعر الأديب والفنان الذى يحس بالكلمة وكثيرا ما كان يشترك ويضع بنفسه هيكل اللحن للكلمات التى يكتبها وكنت أنا بعدها أتولى تنظيم اللحن وأصيغه بالطريقة التى تناسبنى ولذلك كنت أنا عادة أكون صاحب اللحن فى النهاية والجميل فى الريح أنه كان لا يطلب منى أجر لحن لأنه كان يتصور أنه يعمل فيه حاجة كثيرة لكنه أرشدنى فى البداية بحكم غيرته على الأغنية وحرصه على أن تظهر فى الشكل اللائق وكان غرضه كله أن تنتشر أغانيه والشاعر بعد الرحمن الريح بطبيعته ميال للكتابة فى جميع الألوان فإلى جانب اللون العاطفى كان يكتب أيضا أشعارا وطنية وأشعار مناسبات إلى جانب الأشعار الدينية وهو من ضمن الشعراء الذين لا يكتبون القصائد بقصد التجارة أنما كان بيشتغل لفنه وكل ما كانت تجود عليه قريحته بقصيدة جديدة كان يعرضها على ويعمل هيكل اللحن بالطريقة التى تناسبنى وبعدما يخلصها طوالى يكلمنى بالتليفون ويمسك العود ويغنيها لى عن طرق التليفون.

وعبد الرحمن الريح من مميزاته أيضا أنه كان يهتم بالمناسبات سواء كانت وطنية أو تاريخية أو دينية وكان من بدري يستعد لهذه المناسبات بكلمات تناسب كل مناسبة ويبتدي يوزعها على أصدقائه الفنانين وهذا ما يعرفه

جيدا كل أصدقائه المقربين ومن مميزاته أيضا أنه الشاعر صاحب الكلمة السهلة والسلسة ومن أمثلة ذلك الأغنية التي يقول فيها:

الزهور صباحية وأنت نايم   داعبت شعرك النسايم

لقد أبدع الشاعر عبد الرحمن الريح في تأليف أغنية الخرطوم والتي لاقت نجاحا كبيرا عند جماهير المستمعين وفيها يقول الشاعر:

ألوان الزهور زانت أرضها	وأصبح بعضها ينافس بعضها
زانت أرضها ألوان الزهور	وشدت روضها أسراب الطيور
خمرها للنفوس يسكر غير كئوس	لاشك هي عروس النيل وحدها
في المقرن تشوف الأشجار صنوف	والنيل حولها كالعابد يطوف
يدفق في ظلال من خمره الحلال	أنواع الزلال ونعيم الجلال

طولها وعرضها

والشاعر الطاش من الجعليين وقد ورث الشعر من قبيلته وكان ينظم الشعر بالعربي الفصيح وبالعامية السودانية وعندما بدا معي أعطاني قصائد باللهجة الدارجة زي أغنية "يا حبيبي ناوي الرحيل" والشاعر أحمد إبراهيم الطاش كان موظف حكومة ولم يكن دائم اموجود في العاصمة فهو في مأموريات خارجها ولكن كلما انتهى من قصيدة وهو خارج العاصمة يرسلها لي من هناك وفجأة كان يسمعها من الراديو وينبسط منها ويرسل لي جوابات تهاني بعد إذاعتها وفي الوقت ده كان الشعراء نادرين وكانت كل القصائد مختاره وكتب لي الطاش غيرأغنية "ناوي الرحيل" أغنيات كثيرة بعدها.

يمكن أن أضيف على الكلام الي قلته عن الشاعر خضر حسن سعد بأنه كان دائما شعلة نشاط وثائرا على الأوضاع في البلد وعاش عيشة الخليل في السودان وسيد درويش في مصر فكان دائما بيأخذ كلامه من أفواه الشعب

السوداني المكافح ومن ضمن أغانيه أغنية كتبها لفتاة أحبهاوتخيل أنها تزوجت غيره فقال فيها:

ما شقيتك وأنت الشقيتيني راعي نص الهوى والغرام

ولما رآها خضبت يداها بالحنة يقول لها:

ما الخضاب الحنن يداكي والأبار الدقت شفاكي

هل خطيبا طالب يداكي ولا زينك قلبوه شين

وتخيل رد الفتاة على هذه الكلمات فيقول:

ما خطيبا طالب يداي وما الأبار الدقت شفاي

ذاك أثر البكا يا منايا وكفي تمسح صبحي ومساي

فهذه صورة من الصور العديدة التي عاشها المرحوم خضر حسن سعد ويمكن القول بأنه كان مهملا جدا في أوقات راحته وقضى زهرة شبابه بين عمله الرسمي وسهره وحبه لفنه فلم يكن يستريح ولا يهتم بنفسه إلى أن أصيب بمرض صدري نفس المرض الذي أصيب به الخليل وبنفس الطريقة ولم يهتم بمسألة العلاج وكان فعلا في ذلك الوقت لم يكن له علاج حتى أنتهى وهو في زهرة شبابه.

وفي نفس العام وحينما توفي خضر حسن سعد لم أكن في العاصمة كنت في ليبيا مع الزميل أحمد المصطفي وبالذات كنا في طرابلس وكنا لما بدأنا الرحلة من القاهرة إلى ليبيا بنكتب إلى أهلنا أنهم يرسلوا لينا على طرابلس طوالي. ولما وصلنا هناك وفي ليلة من الليالي عملنا حفلة وبدأناها الساعة الخامسة والنصف مساء وحضر إلينا البوليس الحربي وأوقفنا في الطريق وقال يا جماعة عندكم جوابات كثيرة من السودان وفرحنا جدا واستلمنا

الخطابات وبدأنا نقرأ فيها في نفس المكان ولكن وبكل أسف فرحتنا لم تتم لأن أول خطاب فتحته وجدت فيه خبر وفاة خضر حسن سعد الذي رحل ولم يتجاوز الخامسة والثلاثين طبعا بدأنا أنا وأحمد نبكي على خضر وكان بيننا وبين الحفل نصف ساعة ولما وصلنا مكان الحفل وحضر إلينا الضابط المسئول من الحفل وهو محمود أبو سمره " الآن هو بالمعاش" وطلب منا بداية الحفل ووجدنا في حالة غير طبيعية فطلبنا منه تأجيل الحفل ولو ساعة واحدة لأننا تلقينا حالا خبر وفاة صديقنا الشاعر خضر حسن سعد فقال لنا : هذا كلام فارغ أنتم هنا في ميدان حربي.. الكلام ده هناك في السودان إحنا كلنا بنموت هنا والناس بتشوف شغلها.. والدمع في عيني بدأت الحفل وأذكر غنيت أغنية المرحوم خضر..

يحيا الحب دام صفانا وعاش النيل الروانا

ولكن مفارقات الحياة بعد ما انتهيت من الفاصل بتاعي وطلع زميلي أحمد المصطفى ليغني أذكر أنه في بداية الحفل كانت تتردد كلمة اللواء في اليوم أكثر من مرة فبدأ أحمد الغناء بأغنية.. "ما أحلى ساعات اللقاء" ولكنه أخطأ وقال ما أحلى ساعات اللواء.. فوقف اللواء وبيده العصا وتقدم نحو الزميل أحمد المصطفى وقال له : أنا مبسوط منك لأن بتغني كويس جدا.. وأنتهى الحفل بعد منتصف الليل طبعا ولم ننسى خضر ولكن ظروف الحرب اضطرتنا أن نغني للجنود لأنه لم تكن هناك طريقة غير هذه..

وأذكر في الليلة دي وبعد أنتهاء الحفل كنت أنا وأحمد في غرفة واحدة نستعيد ذكرياتنا مع المرحوم خضر ونقول بأننا فقدنا شاعرا كبيرا مهما بالنسبة لنا ونسأل الله أن يعوضنا عنه خيرا..

دون غيرى خصني عبد المنعم عبد الحى
بمعظم انتاجه من القصائد الغنائية

عبد المنعم عبد الحى من الشعراء اللى أنا باعتز بأخوتهم وصداقتهم لى من أيام حياتي وأنا صغير في حلتنا كما أشرت من قبل وهو في نفس الوقت كان زميلي في الخلوه الشاعر عبد المنعم عبد الحى الذى فارقنا بعد ذلك وذهب إلى القاهرة طلبا للعلم وبعد عنا فترة طويلة لم التقى معه خلالها إلا في زيارتي الأولى للقاهرة كما أشرت في ذكرياتي الماضية وكان لقاؤنا مثيرا وخصوصا عندما علمت أنه بدأ يكتب القصائد الغنائية وكانت فرحته بوجودى أكبر وعرض على أنا وأحمد المصطفى أغانيه.. وكان الشاعر عبد المنعم عبد الحى زى الشاعر عبد الرحمن الريح بيعمل الأغاني ويفصلها على المطربين فوجدناه عامل لينا أغاني أنا بتاعتى براها وأحمد المصطفى أيضا بنفس الشئ.. وأذكر من هذه الأغاني أنه لما عرف أنى قدمت أغنية بعنوان الخرطوم يمثل لأحمد المصطفى أنا أمدرمان التى لاقت نجاحا كبيرا..

وبعدها قدم لنا أغاني كثيرة أذكر من ضمنها : سهران الليل أراقب نوره.. وهكذا فقد كان لى مع الشاعر عبد المنعم عبد الحى كما لأحمد المصطفى والزملاء الفنانين في زيارتهم للقاهرة ذكريات وجلسات فنية لا تنسى كان نتاجها قصائد عاشت ولازالت لأصالتها يضيق المجال عن ذكرها وسأشير إلى كل منها في حينها.. وأتوقف هنا وأحكى جانبا من الذكريات مع صديقى الشاعر عبد المنعم عبد الحى.. فكما أشرت بالنسبة لعبد الرحمن الريح أيضا

عبد المنعم عبد الحى شاعر يكتب فى جميع المناسبات وخاصة فى الوطنيات فلم يترك مناسبة إلا وتعرض لها بفهم وصدق وإحساس كبير.. وأستطيع أن أقول بأن وجود عبد المنعم عبد الحى فى مصر ووجود نخبة من الأصدقاء من الطلبة فى ذلك الوقت ووجود إذاعة باسمنا تحمل أسم "ركن السودان من القاهرة" وتعمل على نشر فنوننا كل هذه العوامل شجعتنا وساعدت على حضورنا إلى القاهرة فى كل عام وأحيانا فى العام الواحد أكثر من مرة وفى كل مرة أزور فيها القاهرة سواء بمفردى أو مع بعض الزملاء من الفنانين لا أعود إلا بعد أن أقدم مجموعة من الأغانى والألحان ولا ننسى أن القاهرة كانت ومازالت مصدر وحى كبير للشاعر والفنان بالانتاج الجيد.

تخرج الشاعر عبد المنعم عبد الحى من الكلية الحربية برتبة ملازم ثان والتحق بالجيش المصرى وفكر فى الزواج واختار فعلا رفيقة حياته من مصر وكنا موجودين فى ذلك الوقت بالقاهرة وكان معانا المرحوم سرور والمرحوم إبراهيم عبد الجليل إلى جانب إسماعيل عبد المعين وأحمد المصطفى بالطبع.. وأذكر أن عبد المنعم كتب مجموعة من القصائد الجميلة بمناسبة عرسه وقدمناها كلنا ومنها مثلا ما يصف فيها زوجته المصرية فيقول:

شامة ووردتين فى خدودك   يا حلوة مين مريودك

وكنا فى هذه الأيام فى القاهرة مازال نشاطنا قائما على المسرح وبالتعاون المستمر مع إذاعة ركن السودان " وكان أسمها فى ذلك الوقت الإذاعة السودانية من القاهرة".

عبد المنعم عبد الحي شاعر يكتب في جميع المناسبات وخاصة في الوطنيات فلم يترك مناسبة إلا وتعرض لها بفهم وصدق وإحساس كبير.. وأستطيع أن أقول بأن وجود عبد المنعم عبد الحي في مصر ووجود نخبة من الأصدقاء من الطلبة في ذلك الوقت ووجود إذاعة باسمنا تحمل أسم "ركن السودان من القاهرة" وتعمل على نشر فنوننا كل هذه العوامل شجعتنا وساعدت على حضورنا إلى القاهرة في كل عام وأحيانا في العام الواحد أكثر من مرة وفي كل مرة أزور فيها القاهرة سواء بمفردي أو مع بعض الزملاء من الفنانين لا أعود إلا بعد أن أقدم مجموعة من الأغاني والألحان ولا ننسى أن القاهرة كانت ومازالت مصدر وحي كبير للشاعر والفنان بالانتاج الجيد.

تخرج الشاعر عبد المنعم عبد الحي من الكلية الحربية برتبة ملازم ثان والتحق بالجيش المصري وفكر في الزواج واختار فعلا رفيقة حياته من مصر وكنا موجودين في ذلك الوقت بالقاهرة وكان معانا المرحوم سرور والمرحوم إبراهيم عبد الجليل إلى جانب إسماعيل عبد المعين وأحمد المصطفى بالطبع.. وأذكر أن عبد المنعم كتب مجموعة من القصائد الجميلة بمناسبة عرسه وقدمناها كلنا ومنها مثلا ما يصف فيها زوجته المصرية فيقول:

شامة ووردتين في خدودك　　　　يا حلوة مين مريودك

وكنا في هذه الأيام في القاهرة مازال نشاطنا قائما على المسرح وبالتعاون المستمر مع إذاعة ركن السودان "وكان أسمها في ذلك الوقت الإذاعة السودانية من القاهرة".

ومن حق ركن السودان علينا أن نسجل له هنا وللقائمين عليه اهتمامه بنا وبتسجيل الانتاج الغزير من أغنيات سوادنية جميلة ومتنوعة خلال هذه الفترة مع بداية نشأة الركن ومازالت هذه الأغنيات موجودة فى المكتبة الغنائية بالركن فى الوقت الذى تفتقدها إذاعة أمدرمان ومن بين هذه الأغنيات التى مازالت تتردد ويعرفها جيدا مستمع هذه الإذاعة وأخيرا تدارك المسئولون عندنا هذا الخطأ وبدأوا فى تسجيل أو أعادة تسجيل هذه الأغنيات ولكن بأصوات كثيرة.

حقيقة أنا بحسد نفسى على الانتاج الغزير الذى خصنى به عبد المنعم عبد الحى دون غيرى حتى أنه أعطانى فى موسم واحد عددا لا يقل عن عشر قصائد ولكل قصيدة قصة.

أذكر منها على سبيل المثال أغنية "رملتنا بيضا بين بحرين يلاك نزورا" فهذه الأغنية كتبها الشاعر عبد المنعم عبد الحى فى الخرطوم تحت كبرى أمدرمان حيث تتجلى كلمات الشاعر فى وصف المكان والزمان حين يقول:

رملتنا بيضة بين بحرين يلاك نزورها   رملتنا ببيضة يالمحبوب يلاك نشوفه

شادينا قال ياليل وطال سمرنا   وعزولنا حجزو النيل ما جاب خبرنا

ولحنت هذه الأغنية فى نفس الليلة وسجلتها بعد كده لإذاعة ركن السودان فى وقت مبكر ومازالت موجودة بهاكما أشرنا وتفتقدها إذاعة أمدرمان التى بدأت تعيد تسجيلها هذه الأيام.

ومن الأغنيات الجميلة أيضا اللى بتذكرها أنا وعبد المنعم عبد الحى كلما التقينا فى القاهرة أغنية "ننو يا ننو" وهذه الأغنية كانت نتيجة جلسة مع الشاعر فى منزل عائلة سودانية مصرية وكانت إحدى السيدات تحمل طفلتها

الصغيرة تداعبها وكان اسمها ناهد وكانت تداعبها بكلمة "ننو" فعجب الشاعر الأسم وعجبني أنا النغم وطلبت من عبد المنعم أن يكتب أغنية تبدأ بنفس الكلمة فكانت أغنية "ننو يا ننو" التي كتبها فعلا في نفس الجلسة ولحنها أيضا في نفس الجلسة وسجلتها في ركن السودان مع الرملة البيضاء وسهران يا ليل قبل أن أسجلها في إذاعة أمدرمان ولما رجعت الخرطوم وسجلت نفس الأغنية في إذاعة أمدرمان لاقت نجاحا كبيرا بسبب واحد وهو أن كل أطفال السودان افتكروا أنا بخاطبهم همه. وهكذا حطيت أغنية ننو بلقب أغنية الموسم أكثر من مرة وخاصة بالنسبة لبرنامج ما يطلبه المستمعون حيث كان يصل هذا البرنامج فقط ما لا يقل عن مائتي خطاب أسبوعيا يطلب أصحابها أغنية "ننو"

أما بطل القصة الحقيقية وهي الطفلة ناهد فكبرت بعد كده بالطبع وشاءت الظروف أنها تدرس في القاهرة وكملت دراستها في الخرطوم وتزوجت.. والغريب في الأمر أنها بعد ما كبرت وعرفت القصة أحبت الأغنية بتاعتها وبدأت تغنيها بنفسها وبصوت جميل وبدأنا أنا وعبد المنعم نستمع ليها ونستعيد هذه الذكريات.. ولعل الكثيرين لا يعرفون بأن ننو دي أو نامديحي ثروت أصبحت تمثل صوتا من الأصوات اللي بتعتمد عليها إذاعة ركن السودان وخاصة في مجال التمثليات السودانية حتى أن الشاعر عبد المنعم عبد الحي أصبح يعتمد عليها في برنامجه الأسبوعي حديث المقرن وأصبحت ضمن الأسرة التي تجتمع مساء كل ثلاثاء لتناقش موضوعا من الموضوعات التي يتطرق إليها الشاعر في برنامج "حديث المقرن".

سيد خليفة حقق وجودا فنيا كثيفا خارج السودان أيضا

أما عن تعاوني مع الشاعر عبد المنعم عبد الحي فاستمر وفي كل عام أزور خلاله القاهرة الاقيه حاجز لي أكثر من قصيدة تناسبني وخصوصا في المناسبات التي كان الشاعر يحرص على الكتابة فيها بكل جديد. ولا يفوتني أن أشير بأن هذا الانتاج الغزير الذي قدمته لجماهيري عن طريق الإذاعة والحفلات كان خلال الأربعينات والخمسينات حتى ظهرت في تلك الفترة مجموعة أخرى من الأصوات الجديدة مازالت تتردد في هذه الفترة برز منها أصوات محمد وردي وعبد الكريم الكابلي ولكن قبل ذلك كان ثمه صوت من الأصوات التي تمثل فترة أنتقال من القديم والحديث وفي الحقيقة هو لحقنا قبل ظهور وردي وهو الفنان عثمان حسين الذي قدم العديد من القصائد الناجحة وإذا أردت التعرض لهذا الفنان الصديق لا أستطيع أن أعطيه حقه في هذا الوقت الضيق أنما أستطيع القول بأن عثمان بدأ حياته كعازف للمطرب عبد الحميد يوسف وكان يصاحبه في حفلاته إلى الخارج في أقاليم السودان المختلفة وبعد أن تمكن عثمان من حفظ أغاني عبد الحميد يوسف بدأ يعمل ألحان لنفسه وأخذ من المرحوم على محمود واحدة من أغنياته القديمة وتقدم لي لأتوسط بينه وبين محطة الإذاعة في أمدرمان وفعلا قدمته للمدير في ذلك الوقت وكان الأستاذ متولي عيد الذي استمع له وأعجب به وطلب ضمه للإذاعة كمطرب وقدم عثمان أول أغنية ولاقت نجاحا عظيما وشق طريقه بعد ذلك ويمتاز عثمان حسين منذ احترافه الفن بأنه يعتمد على نفسه في مسألة التلحين ويحاول

فى كل مرة أن يقدم الجديد وكان ومازال مهتما بالموسيقى فى أغنياته وهذا راجع لإجادة عزفه على العود.

مع عبد الحميد يوسف

أما عبد الحميد يوسف الذى صاحبه عثمان حسين لفترة طويلة كعازف فكان من ضمن المطربين الذين دخلوا الإذاعة قبل عثمان حسين طبعا ودخل بأغنية أذكرينى يا حمامة وهذه الأغنية غناها بعدما أهداها لى الشاعر محمد عتيق وقدمتها قبله وهذا شئ كان معروف فى ذلك الوقت أى فنان يستطيع أن يقدم أى أغنية معروفة بصوت آخر واستمر عبد الحميد وقدم بعد ذلك أغنية مشهورة وهى "غضبك جميل زى بسمتك" وهذه مسجلة على أسطوانة فى السوق ونجحت وأنتشرت فعلا ..

وكما أشرت من قبل بالنسبة للأصوات النسائية المعروفة فى ذلك الوقت ظهرت المطربة عائشة الفلاتية وكانت معروفة بأداء أغانى التم تم المصحوبة بأنغام الدلوكة واستمرت فترة طويلة تغنى فى بيوت الأفراح إلى أن أكتشفها الأستاذ حسين طه زكى وقدمها للإذاعة فكانت أول صوت نسائى تغنى فى محطة أمدرمان وغنت عائشة أغنياتها المعروفة بالتم تم وهوجمت بسببها فى الجرائد ولكنها انتظمت بعد ذلك واتجهت إلى الملحنين أمثال فرح إبراهيم وقدمت العديد من الأغانى من أشهرها "يجوا عايدين" المشهورة وشاعرها المرحوم على محمود وبعد ذلك ظهرت المرحومة فاطمة الحاج بأغانى جديدة مركزه ثم ظهرت منى الخير بلون جديد مختلف عن لون عائشة وفاطمة.

التاج مصطفي

ومن الزملاء الفنانين الذين عرفوا في هذه الفترة أيضا الزميل الفنان التاج مصطفي ومعه عبد الدافع عثمان ورمضان حسن والفنان الشاب في ذلك الوقت إبراهيم عوض.. وهذا الأخير تمتع بشهرة كبيرة خلال الخمسينات وبعدها نتيجة تعاون الشاعر عبد الرحمن الريح معاه وتقديمه له ألوان جديدة وعديدة من القصائد وبعده استلمه الطاهر إبراهيم وإبراهيم الرشيد.. ولعل المستمع يذكر من بين أغنيات إبراهيم عوض "أبيت الناس وحبيبي جنني وألم الفراق" وغيرها

وهنا نتوقف ونتكلم عن زميل وفنان في الوسط الفني أعتز بصداقته وبزمالته لي في أكثرمن رحلة في السودان وخارجها وهو الفنان سيد خليفة فقد قابلته بعد معرفتي له في الخرطوم كشاب عادي في القاهرة وكان يبغي الدراسة في معهد الموسيقي العربية وكنا في بعثة زواج الملك فاروق ولما حضرنا إلي القاهرة وجدناه في كل البرامج الموجودة لاحتفالات الملك السابق واستغربت جدا من هذا الشاب وهو في بداية حياته في المعهد نال كل هذه الشهرة للدرجة التي تقدمه فيها محطة الإذاعة المصرية في حفلات الملك السابق التي أقيمت عند الأهرامات وفي نادي الضباط وحدائق الأندلس كل ذلك في الوقت اللي كنا فيه مهتمين ومتخوفين في نفس الوقت من فشل اللون السوداني عندما نقف علي المسرح.. وأنتظرت أول حفلة يغني فيها سيد وفعلا غني فيها بثبات عظيم وقدم راسخ وكأنه يطرب عليه سنين طويلة ولاقي سيد نجاحا عظيما وكانت الحفلة عند أهرامات الجيزة بعدها شددت علي يدي سيد وقلت له ثق بأنك ستكون فنان له شأن

عظيم فلا تخف ولا تسمع كلام الناس وأنا متأكد أنك ستكون فى يوم من الأيام الفنان الكبير سيد خليفة وأنبسط منى سيد فعلا وكان دائما يقول لى أنك أنت من ضمن الزملاء اللى شجعونى بروحهم الطيبة.. وفعلا نجح سيد وأذكر أنه بكى عندما اشترك معنا فى حفل فنان الموسم وفاز بلقب فنان الموسم واستحق الجائزة وفى هذه الليلة كرر سيد نفس الكلام وقبلنى وقاللى يا حسن أنت السبب وأنا لا أنسى نصيحتك لى.

مناسبات الفنانين

رجعت إلى الخرطوم بعد أيام جميلة فى القاهرة فوجدت الفن فى الخرطوم ازدهر وظهرت أصوات جديدة ووجوه جديدة أثبتت وجودها فى الوسط الفنى ومن أشهرهم دون ترتيب "سيد خليفة، الكابلى، محمد وردى، إبراهيم عوض، ومحمد الأمين" وكان من الطبيعى أن تشتد المنافسة بين جميع الفنانين وبالتالى إزداد عدد المعجبين بكل فنان كما زاد عدد الرحلات الفنية داخل السودان وفى العاصمة ازدحمت الليالى الساهرة، ليالى المقرن وليالى الأفراح وليالى الأندية والمسارح وأصبح الفن يدر مبالغ كبيرة وأصبح لكل فنان سيارة خاصة وبنوا المنازل بل شيد بعضهم الفيلات والقصور واشتدت المنافسة بالفعل فى مسألة المنازل والعربات وأصبح كل فنان يمتلك عربة أولا ومنزلا يكون فى حى راق جميل ويكون كاملا من كل شئ وخاصة من حيث الكماليات فصارت المنافسة منافستين منافسة فى الفن ومنافسة فى اقتناء المنازل والعربات والكماليات.

أذا بدأناب بنشاط الفنان سيد خليفة نجده قد تتلمذ على يد الفنان إسماعيل عبد المعين وتقريبا سلك نفس طريق الفنان إسماعيل فى شكل

الألحان بتاعته غير أنه بعد فترة وجيزة سلك سيد خليفة لوحده ولحن معظم أغانيه لنفسه وبنفسه وعلى الطريقة الغربية الخفيفة التى تجذب الأسماع ويتمايل على أنغامها الشباب.. ونجح سيد خليفة إلى حد كبير فى هذا الاتجاه ولعل أغنية "المامبو" ومن بعدها "أزيكم" خير شاهد على ذلك الأولى للشاعر عبد المنعم عبد الحى والثانية للشاعر إسماعيل حسن وبالمناسبة سيد لحن أغنية المامبو فى القاهرة وعرفتها القاهرة قبل الخرطوم وجاءت بعد ذلك أغنية أزيكم التى لا تقل شهرة عن المامبو لأن كلماتها بسيطة وعلى شكل تحية تقال فى أى مكان "أزيكم كيفنكم لى زمان ما شفتكم"

ولم يقف سيد عند هذا الحد بل كلما كانت تتاح له زيارة قطرا من الأقطار كان يترجم كلمات الأغنية بلغة القطر ذاته ولا فرق أن كان هذا القطر عربيا أو أفرنجيا.. فمثلا زار سيد الصومال فغنى أزيكم بالصومالى ونفس الشئ فى الحبشة كما زار لندن وغنى أزيكم بالإنجليزية ومن هنا نقول بأن الفنان سيد خليفة عمل أغانى عالمية ومفهومة سواء فى أفريقيا أو أوربا كما سجلت هذه الأغانى فى عدة محطات عربية وأوربية وسجلت أيضا فى أسطوانات بيعت داخل السودان وخارجه .

بأغاني الرطانة بدأ وردي مشواره

الفنان عبد الكريم الكابلي قد دخل الإذاعة وكان وقتها موظفا وكان ذلك في عام ١٩٥٩/١٩٦٠ م وكان في بداية مشواره الفني يغني لبعض المطربين أغنية أو أغنيتين ولكن كان يحفظ كل الأغاني التي ظهرت بها أنا في أول حياتي وبعد ذلك نقل الكابلي إلى "مروى" وهناك كون شخصيته الفنية ولحن بعض الأغاني التي انتشرت بعد ذلك ومن أشهرها "أوبريت مروى" فيك يا مروى شفت كل جديد.. وبعد مروى نقل إلى الخرطوم وعمل بالإذاعة بشكل دائم وأنتج معظم أغانيه التي لاقت رواجا كبيرا وكانت من بينها ما قدمه من أغنيات وطنية أعدت خصيصا بمناسبة زيارة الرئيس جمال عبد الناصر للسودان من أشهرها "ناصر وقم صلاح الدين إلى جانب أنشودة أسيا وأفريقيا ودى حكاية لوحدها فقد أبدع في لحنها وأدائها الفنان عبد الكريم الكابلي مما جعله بعد ذلك من أوائل الفنانين في السودان الذين يتفاعلون بصدق وإحساس كبير مع الأحداث سواء كانت عالمية أو عربية.

إبراهيم عوض

أما الفنان إبراهيم عوض فكما أشرت من قبل ارتبط اسمه منذ البداية بالشاعر الكبير عبد الرحمن الريح وهو الذى شجعه على دخول الإذاعة وكتب له ثلاث أغنيات ليدخل بها أمام اللجنة ونجح فعلا إبراهيم من أول مقابلة وسرعان ما أنتشر على الساحة.. وبعد عبد الرحمن الريح جاء دور الشاعر الطاهر إبراهيم ليكتب مجموعة من الأغاني الناجحة لإبراهيم عوض

وبالمناسبة الأثنان من حي واحد وهو حي العرب في أمدرمان وهذا ساعد كثيرا في تواجدهما مع بعض على طول وكان الريح بالطبع غير بعيد.. وهكذا أستحق إبراهيم عوض لقب فنان الشباب وأخيرا وعلى وزن كلمة الشباب صار يأخذ ألحانه من الشباب وفي مقدمتهم عبد اللطيف خضر "ود الحاوى" وهذا الأخير لحن له أروع أنتاجه من أشهرها أغنية "يا زمن وقف شوية".

محمد الأمين

وإذا تحدثنا بعد ذلك عن الفنان محمد وردى والفنان محمد الأمين فنجد أن وردى ظهر لأول مرة عام ١٩٥٧ م وكان يغنى في البداية أغانى بلده في الشمالية بالرطانة مثل أغنية "الليلة يا سمرة" هذا إلى جانب أداء بعض أغاني الفنانين ومن ضمنهم كانت أغنياتي لو أنت نسيت واقول أنت نور وظهر نور الشروق وظهر وردى بهذه الأغنيات في بيوت الأفراح واستمر على هذا الحال إلى أن قدمه المحامي عبد الماجد أبو حسبوا إلى صديقه المرحوم محمد خانجى وتقدم بنفس الأغانى اللى تكلمنا عنها، وبعد فترة بدأ وردى يلحن أغانيه الخاصة والتي كان يكتبها له صديقه الشاعر إسماعيل حسن ونجح وردى في التلحين والأداء وبسرعة قفز إلى صف فنانى الدرجة الأولى وقدم عددا من الأغاني والأناشيد الوطنية ومن أشهرها نشيد أكتوبر الذى رددته الجماهير من ورائه.

وجاء بعد ذلك الفنان محمد الأمين في عام ١٩٦٣م تقريبا وهو من دفعة الفنانين الذين ظهروا لأول مرة في حفل مسابقة المدريات وكان من بينهم أيضا الفنان عثمان مصطفى والطيب عبد الله وقدم محمد الأمين أولى

أغنياته "أنا وحبيبى" وبعدها "الساعة جيتك" وبدأ ود الأمين يلحن لنفسه ويجتهد فى كل لحن بتقديم الجديد واتجه بعد ذلك فى عمل الأناشيد الوطنية فى المناسبات المختلفة وأجاد فيها.. ومن حق الفنان محمد الأمين أن نسجل له هنا بأنه أول فنان تقاضى أكبر أجر فى نشيد حيث بلغ أجره ١٠٠٠ جنيه سودانيا فى النشيد الواحد كما أنه أول فنان سودانى فى تجديده للألحان .. فقد نجح فى إدخال السلم السباعى مع الأحتفاظ بالطابع السودانى.

بناء المسرح القومى

لقد بدأ التفكير فى بناء مسرح قومى فى السودان وفى مدينة أمدرمان العاصمة الوطنية للسودان وكان ذلك فى أيام حكم الرئيس إبراهيم عبود ١٩٥٨ وكان وزير الأعلام فى ذلك الوقت السيد طلعت فريد ومدير الوزارة السيد محمد عامر بشير "فوراوى" ففكروا بعد أن طلبوا من وزارة المالية المبلغ الذى يكفى لبناء المسرح ولكن الوزارة لم تكن مستعدة لدفع المبلغ المطلوب وكان ستين ألف جنيه تقريبا.. ففكرت وزارة الإعلام فى إرسال بعثات فنية داخل السودان لجمع المال اللازم لبناء المسرح وفعلا أرسلت بعثة فنية لأول مرة إلى مدينة عطبرة وكانت تضم جميع فنانى الدرجة الأولى وكنت أنا من بينهم وأقيمت الحفلة فى ميدان كبير وسط المدينة وشهدت عطبرة ولأول مرة حفلا غنائيا حضره عدد كبير من الفنانين وحضر الحفل بالإضافة إلى ناس المدينة عدد كبيرمن ضواحيهابلغ ما يزيد عن أربعة آلا ف نسمة وطبعا الحفلة كانت بإشراف الحكومة عشان كده كانت منتظمة جدا وخاصة من حيث توزيع الميكروفونا لضمان سلامة الصوت إلى

جانب التنظيم من حيث الجلوس مع حراسة كافية من رجال البوليس ولذلك جاء دخلها كبيرا مما دعا المسئولين لعمل نفس الحفل في باقي مديريات السودان.. وفعلا عملنا حفلات عديدة مثل هذا الحفل وزاد الدخل في كل حفل وبعد مكافآت الفنانين والعازفين فاض مايكفي لبناء المسرح وزيادة وكل ده طبعا بعد مصاريف السكن والسفر برا وبحرا وجوا وبدأ المسرح في التشييد وقام فعلا في الموعد المحدد وتم افتتاحه رسميا في حفل كبير حضره الرئيس السابق إبراهيم عبود والوزراء وكبار رجال الدولة، كما حضره رجال السلك الدبلوماسي وقمنا نحن الفنانين بإحياء الحفل الذي نجح نجاحا كبيرا وهكذا أصبح لنا مسرح قومي سوداني عملت عليه جميع فرق العالم من محترفين وهواة.

طلعت فريد والتليفزيون

هذا عن المسرح القومي أما عن التليفزيون فقد فكر نفس الوزير السيد طلعت فريد بعد نجاح المسرح القومي في إنشاء التليفزيون وبعد اتصالاته بالدول الصديقة في هذا الشأن وجد من بينهم من يقوم بهذا العمل وكانت على ما أظن هولندا، وفعلا حضر إلى السودان بعض الفنيين من هولندا وعملوا مسحا شاملا وكاملا بعده تم تركيب آلات التليفزيون ومعداته لترسل إلى مدى ٦٠ ميلا مما يغطي العاصمة المثلثة وضواحها وعمل له أيضا حفلا كبيرا وفي يوم الأفتتاح حضر أيضا الرئيس عبود والوزراء ورجال السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي وبرضه كنت من ضمن الذين شاركوا في العرض الأول في تليفزيون جمهورية السودان، ونجح التليفزيون وانتظمت برامجه وكان في أول الأمر يستوعب جميع الفنانين لأنه يعمل بطريقة

الإذاعة برامج تتخللها أغاني وكان أجر فنان الدرجة الأولى ثلاثين جنيها سودانيا والدرجة الثانية عشرين جنيها.

وبعد نجاح الفنانين في أداء واجبهم على الوجه الأكمل وبعد أن برهنوا على أنهم أكفاء ويمكنهم تقديم فنهم السوداني بشكل لائق فكرت الحكومة مع وزارة التربية والتعليم السوداني في إرسال بعثات فينة للجمهورية العربية المتحدة وللطلبة في المملكة المتحدة وأرسلت بعثات فنية سنويا إلى لندن وكانت البعثة في أول الأمر عبارة عن مطرب واحد يذهب إلى لندن بمفرده لكن لم يعجب الطلبة هذا الوضع فتطور الحال بإرسال مغني وعازف واحد ثم مغني وثلاثة عازفين وكانت هذه البعثات ترسل إلى لندن في زمن الشتاء بالذات وفي رأس السنة الميلادية بالذات لأن الطلبة في هذا الوقت بيجتمعوا في لندن لحضور ليالي الكريسماس ورأس السنة وكانت البعثة تستمر عشرة أيام وفي نفس الوقت كانت تنتهز إذاعة لندن هذه الفرصة وتسجل للفنانين كل انتاجهم كما أن الفنانين بعد أن ينتهوا يبدأون في طريق العودة زيارة بعض بلاد أوربا مثل إيطاليا وفرنسا وألمانيا وغيرها.

سرور كان أول فنان سوداني ينقل أغانينا إلى أثيوبيا وأريتريا

وفي تلك الدول التي كنا نزورها في طريق العودة بعد الانتهاء من البعثة كنا نلتقي فيها أيضا بعدد من الدارسين من أبناء السودان وهم الذين لم تمكنهم ظروفهم الدراسية من الحضور في أجازة رأس السنة إلى لندن فكان هؤلاء الطلبة من الدارسين يحسنون استقبال الفنانين ويساعدونهم في عمل تسجيلات لهم في هذه البلاد إلى جانب ما يقدمونه من هدايا وما يتيسر من مال يجمعونه من بعضهم.. وبعد كده فكرنا أنا والأخ أحمد المصطفى في تنظيم رحلات إلى البلاد الصديقة المجاورة لنا مثل الجمهورية العربية المتحدة والحبشة وأريتريا وذهبنا فعلا في عدة رحلات إلى مصر في الأول وعملنا ليالي كما أشرت من قبل- ونجحت نجاحا كبيرا إلى جانب نشاطنا مع ركن السودان الذي كان يسجل انتاجنا أولا بأول ولأول مرة أيضا كونا فرقة أنا والزميل أحمد المصطفى وذهبنا إلى اريتريا أول الأمر كتجربة وبدأناها من أسمرا العاصمة وأعلنا عن ليلتين في سينما رايو في أهم شارع من شوارع أسمرا وفوجئنا عند بداية الحفل لما رأينا كتلا بشرية زاحفة للمسرح وكل واحد منهم يمني نفسه بأن يفوز بتذكرة وازدحمت الصالة ونفدت التذاكر وكان الجمهور خارج المسرح أكبر بكثير من الموجود بالداخل..

وأتذكر في هذه اللحظة بكينا أنا وأحمد من فرط السعادة وخرجنا بعد كدة واعتذرنا لأخواننا الاريتريين الذين لم يحالفهم الحظ لحضور أول حفل لنا

بأريتريا وأعلنا لهم بإقامة حفل ثالث وصفقوا لنا ولكنهم لم ينصرفوا بل بقوا في أماكنهم أملا في أن يجدوا تذاكر وانتهت الليلة الأولى في الساعات الأولى من الصباح وبعد أن عصرونا عصرا وأرهقونا من كثرة الطلبات وكانت مفاجأة لنا أنهم يحفظون أغانينا كلها ولما سألنا عن السبب؟ قال لنا أهل البلد: أن الاريتريين يقتنون مسجلات ويسجلون فيها كل ما يسمعونه من إذاعة أمدرمان.. بعد كده تجولنا في المدينة وكنا كلما مررنا بمقهى أو أي محل أو حتى منزل سمعنا أصواتنا واتضح أنهم سجلوا الحفلة وبطريقة لا نعرفها نحن ووزعت التسجيلات على كل المحلات الكبيرة وكان مقلب من صاحب السينما لأنه كان يبيع هذه الأشرطة دون علمنا.

وبهذه المناسبة ما ننسى فضل المرحوم محمد أحمد سرور في اريتريا فهو أول فنان ذهب إلى اريتريا وكان يسجل كل أغانيه في مصر ونقلها إلى السودان، ثم إلى أريتريا وبدأ يتاجر بها وكان يبيع الأسطوانة بمبلغ جنيه واحد استرليني وكانت تكلفة الأسطوانة أقل من خمسة عشر قرشا مصريا وكان عندما يبيع أي أسطوانة من الأسطوانات كان يغني ويرقص معها أثناء سماع المشتري لها وهكذا باع جميع ما لديه من أسطوانات وعادت عليه بأموال طائلة في ذلك الوقت.. ومن هنا فقد كان الحاج محمد أحمد سرور سفيرا للسودان في اريتريا وأثيوبيا غير متوج.. وكلمة حق أقولها بأنه قبل زيارات الحاج سرور إلى الحبشة لم تكن للحبشة أغان على السلم الخماسي وتقدر تقول أن الحاج غير معالم الموسيقى الأثيوبية وجعلها أقرب إلى الموسيقى السودانية ومن هنا علمنا أنا وصديقي أحمد المصطفى سبب هذا الإقبال على حفلاتنا بعد أن عملنا ثالث حفل في اريتريا وقبل أن نروي ظمأ

أخواننا في أسمرا وفي كرن وفي مصوع ولم نبخل عليهم وفعلا ذهبنا إلى هذه البلاد وعملنا فيها عدة حفلات كانت ناجحة للغاية ولما رجعنا إلى أسمرا لنرتاح قليلا قبل العودة إلى السودان وجدنا أمامنا عقدا جاهزا لكي نسافر إلى أديس أبابا عاصمة الحبشة لنعمل في مسارحها. وبأسرع فرصة ممكنة لأن كل الناس في أديس أبابا سمعوا بأن هناك فرقة سودانية تعمل في ارتريا وفعلا ذهبنا إلى أديس أبابا.

نتحدث بعد ذلك عن دخول الآلات الحديثة في الموسيقى السودانية فقد كنا بنشتغل بالعود والكمان والإيقاع بالإضافة إلى إيقاع الجاز المكون من طبلة كبيرة وأخرى صغيرة وصاج كبير ده كان كل الأوركسترا وبعد كده زاد عدد العازفين على الكمان وعدد العازفين على الإيقاع ووصل السودان الزميل خميس بنجز واشترك معنا وكان أول بنجز يشترك معنا فعلا وبعد كده ظهرت الطبلة المصرية والتي تستعمل في الأفراح المصرية وظهر الرق أيضا ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل بدأنا في اشراك آلات النفخ على المسرح وفي الإذاعة أيضا أول فنان وهو شرحبيل أحمد وغنى بها وكانت أول فرقة جاز في السودان وغنى بها بكل اللغات العربية والإنجليزية إلى جانب بعض أغاني أخواننا الإفريقيين وفكرنا بعد ذلك في إدخال هذه الآلات ضمن أوركسترا الإذاعة وقد كان وفكرنا في أن نلزم الحكومة بأن تحضر لنا عازفين أجانب لتطوير فن الموسيقى.. وبعد اجتماعات كثيرة بين نقابة الفنانين وبعض الوزراء المعنيين خرجنا بنتيجة وهي أن نتجه إلى الجمهورية العربية المتحدة نستجلب منها بعض الأساتذة المتخصصين في الموسيقى ليعملوا أولا كمدربين للمطربين والعازفين العاملين في الحقل الفني.. ثانيا: لتطعيم

الأوركسترا وفعلا تم الاتفاق على التبادل الفنى بين جمهورية السودان ومصر على أن ترسل لنا مصر أول دفعة من الأساتذة الموسيقيين وفعلا أرسلوا لنا أول أستاذ وكان هو الأستاذ مصطفى كامل.. وحضر إلى السودان بالفعل فى أوائل الخمسينات وعمل به فترة طويلة تقدر بثمان سنوات وبعد أن نجح الأستاذ مصطفى كامل فى مهمته أرسلت لنا مصر عددا آخر من الأساتذة، وعملوا معنا فى الإذاعة والتليفزيون كمدرسين وعازفين فى نفس الوقت هذا من جانب ومن جانب آخر فقد عمل الأستاذ إسماعيل عبد المعين كأستاذ لمدرسة موسيقية وتخرج على يديه عدد من الطلبة .

أول ظهور لنا بالتلفزيون
كان بمناسبة زواج الملك فاروق

كنا نحن أعضاء الفرقة السودانية من فنانين وعازفين أول فرقة تشترك فى برامج التليفزيون المصرى خلال فترة تجربته بهذه المناسبة.. وأذكر بقية البرنامج بالضبط وهو تلاوة قرآنية من قارئ مصرى معروف وبعده برنامج بابا شارو وبعده أغنية لفريد الأطرش وكانت تصاحبه عادة الفنانة الراقصة سامية جمال وفى النهاية كان البرنامج السودانى الذى استمر لمدة ساعة قسمت علينا بالتساوى كل مطرب ربع ساعة وكنا قد عملنا قصائد بهذه المناسبة وقدمناها من أول يوم وكانت الأغانى جميعها تمجد الملك السابق وقد لاقت هذه الأغنيات نجاحا كبيرا نظرا لأنها ولأول مرة يستمع الجمهور بأغنيات صوت وصورة معا من خلال التليفزيون وهكذا استمرينا نشترك فى كل البرامج التى قدمت بهذه المناسبة وفى ختام الحفلات أذكر أن الملك السابق أقام حفل استقبال كبير فى قصر عابدين وخلال الحفل منح كل الضيوف أوسمة ونياشين وكانت من درجة الباشوية والبكوية نال من ضمنها الوفد السودانى السياسيون فقط بعض النياشين وكان يسمى نيشان النيل .

ورجعنا بعد ذلك إلى السودان جميعا وبرغم أننا لم ننل أى وسام أو نيشان إلا أننا قوبلنا مقابلة عظيمة فى السودان بصفتنا أول مطربين نغنى فى حفلات زواج الملك وأمام الملك نفسه وأمام الوزراء والعظماء والأمراء ورجال السلك الدبلوماسى الأجنبى ونحن أيضا كنا فخورين بأننا أصبحنا مطربى الملوك والعظماء .. فبعد أن دعانا الملك السابق صارت لنا سابقة وفعلا وبعد أن استقل السودان وعمل أول حفلاته بالعيد الأول للإستقلال والذى حضره ضيوف من جميع الدول الصديقة قمنا نحن الفنانين بدورنا

فى عمل القصائد التى تمجد السودان وعظمته وقدمناها فى ليالى أول عيد لنا وأمام جميع الضيوف ولمعت أسامينا كمطربين عالميين.

وبعد كده استقلت بعض الدول الإفريقية وصارت كل دولة تعمل عيد ليوم استقلالها و بالتالي توجه تلك الدول الدعوة إلى جاراتها من الدول الإفريقية وكنا نحن دائما الطليعة بالنسبة لإحياء الحفلات الغنائية التى كانت تقام بهذه المناسبات وهكذا اتيحت لنا زيارة عدد لا يستهان به من دول أفريقيا.

ولما شعرنا بعد ذلك بأننا ممكن جدا نعرض فننا فى أى دولة فكرنا فى تنظيم رحلات فنية نجوب خلالها بعض البلاد الصديقة.. وكان أول هذه البلاد بعد مصر هي أثيوبيا وأذكر أننى اتفقت مع الزميل أحمد المصطفى لتشكيل فرقة ترأستها أنا وهو لنذهب بها إلى هناك وفعلا وبعد ثلاثة أيام كانت قد تشكلت الفرقة منى أنا وأحمد كمطربين وأربعة عازفين هم حسن خواص وبابكر محمد أحمد وعبد اللطيف خضر وعبد الفتاح حامد.. وكان معنا أيضا العم خضر الحاوى ويلاحظ هنا أن كل النمر كانت ثلاثة فواصل غنائية .. فاصل لحسن عطية وآخر لأحمد المصطفى والثالث من العم خضر الحاوى وتكررت هذه الفواصل حتى لاقت جميعها نجاحا عظيما.

وواصلنا بعد ذلك رحلتنا في جميع أنحاء الأمبراطورية الأثيوبية كما قلت، ولما رجعنا السودان استمر نشاطنا فى انتاج الجديد والاستعداد فى نفس الوقت لمثل هذه الحفلات الخارجية عند زياراتنا المرتقبة للدول الصديقة إلى أن جاء يوم عيد تتويج الأمبراطور هيلاسلاسي وقدمت لنا دعوة رسمية وكانت هذه ثاني دعوة رسمية لنا بعد دعوة الملك السابق والتى تحدثت عنها.. والدعوة هذه المرة كانت من قصر الأمبراطور...وتدخلت الحكومة السودانية هذه المرة فى تشكيل الوفد المسافر بمساعدة وزارة الخارجية وتم التشكيل وذهبنا إلى أثيوبيا وقدمنا عرضا عظيما صفق له الجمهور كما صفق له الأمبراطور بنفسه كثيرا .. السبب الذى دعاه لعمل حفل استقبال

بالقصر للوفد السودانى وحضره هو بنفسه وقدم لنا فيه بعض النياشين وأهم من هذا كله أن هذه الدعوة الفنية أثرت كثيرا فى تطوير الفن الموسيقى هناك حيث كان إخواننا الإثيوبيين لا يعزفون ولا يغنون إلى على آلة واحدة وهى الربابة وهم يسمونها هناك "الكرار" ولكن بعد ظهورنا أمامهم بالآلات الحديثة مثل العود والكمان والرق والجاز والأوكرديون أثرنا دهشتهم ولا أنسى أن أقول وكما أشرت من قبل بأن هذا الفضل يرجع للمرحوم الحاج محمد أحمد سرور والذى قاد الجملة من ١٩٣٧ أول الحرب العالمية الثانية وكان المرحوم يعمل سائق لورى ينقل بضائع من كسلا إلى أسمرة ومن كسلا إلى أقدوان وكان يصل إلى أى بلد من هذه البلاد وخلال وقت الراحة يقيم حفلا شعبيا مجانا فى مقهى أو أى ميدان ويعرض فيه الفن السودانى وكان فى أول الأمر يقابل بالضحك والاستهتار وشوية شوية وبعد كفاح طويل وصل الحاج سرور إلى غايته وكان فعلا قد زرع الفن السودانى فى الأراضى الأثيوبية وبدأ يلمع أسمه كفنان موهوب عظيم.. وكان كلما حل فى مدينة وعرفت المدينة أن الحاج موجود ذهبوا إليه رجالا ونساء وطلبوا منه الغناء ولما اشتهر الحاج فى هذه البلاد كأول صانع للموسيقى فكر فى عمل حفلات السينما ليعرف مدى تجاوب الشعب مع فنه.. وفعلا عمل عدة حفلات أكدت له نجاحه فى هذا الميدان كما درت عليه هذه الحفلات مالا كثيرا مما جعله يعيش بصفة دائمة فى اريتريا إلى أن توفاه الله ودفن فى جبل بقرية قريبة جدا من العاصمة أسمرة وأسمها "عداقة حموتى" وبالعربى ديم الخميس أو سوق الخميس وهذا الجبل عادة يدفن فيه المسلمون فقط ..

كلمة من المركز


فؤاد عمر

فى مساء الأربعاء٢٠٠٣/١/٢٢م كان فقيد وادى النيل فؤاد عمر أحد الوجوه اللامعة فى احتفال السودانيين بعيد الأستقلال فى دار سفير السودان بالقاهرة وكان مصرا على التقاط الصور التذكارية مع عدد من اصدقائه منهم الأديب الكبير الطيب صالح والوزير السابق وخبير الإدارة الدكتور حسن أبشر الطيب وسفير السودان البروفسيور أحمد عبد الحليم والفنان السودانى إبراهيم خان وخرج من الحفل وهو فى قمة السعادة، وكانت مفاجأة مفجعة عندما سمع الأصدقاء خبر رحيله فى صباح اليوم الثانى الخميس ٢٠٠٣/١/٢٣م..

لقد عاش فؤاد عمر حياته كلها بين أبناء السودان وأختار له القدر أن يكون آخر نشاط يشارك فيه هو ذلك الحفل الذى جمع أكبر عدد من اصدقائه ومعارفه من أبناء السودان.

وفؤاد عمر كان يعتبر نفسه أحد أعضاء أسرة مركز عبد الكريم ميرغنى ساهم فى نشاطاته الثقافية والفنية وألقى العديد من المحاضرات فى دار المركز بأمدرمان وأصدر له المركز قبل ذلك كتابه الذى أحتوى على مذكرات ود القرشى ثم كتابه الثانى عن سيد خليفة وهذا هو كتابه الثالث عن الفنان حسن عطيه وباقتراح من عميد أسرة المركز الأستاذ محمود صالح سيتولى المركز طباعة مؤلفات الراحل المقيم فؤاد عمر الذى سيظل أسما خالدا فى تاريخ وادى النيل جنوبه وشماله..